

المديح في شعر زهير بن ابي سلمى

م.م. سعد خضير عباس

كلية التربية / جامعة ديالى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يعد المديح من أبرز أغراض الشعر العربي قبل الإسلام المتصل اتصالاً وثيقاً بموضوع الحماسة، إذ كان الشعراء الجاهليون يمدحون قبائلهم أو أسيادهم بكثير من المعاني التي كانوا يذكرونها في حماساتهم وفخرهم. وزهير بن أبي سلمى أكبر شعراء العرب الذين أوقفوا أغلب شعرهم على غرض المديح الحقيقي، الذي يتوخى إشاعة القيم الأخلاقية في المجتمع العربي آنذاك. وقد وجدنا متابعة الدراسات الخاصة بشعر زهير أنه لا توجد دراسة إحصائية بهذا الغرض ((المديح في شعر زهير بن أبي سلمى)) على أهميته. ولذلك قمنا بإجراء هذه الدراسة إذ تضمنت ثلاثة مباحث جاء الأول متضمناً تعريفاً عاماً بغرض المديح ثم دراسة نسب شيوع هذا الغرض من خلال إعدادنا جدولاً متضمناً أسماء الممدوحين وعدد الأبيات والبحور الشعرية والنسبة المئوية لاستخدامها، ثم عدد القصائد والقطع الخاصة وعدد الأبيات الشعرية في كل ممدوح ونسبتها المئوية، ثم عرّجنا على دراسة قوافي شعره في المديح إذ بينا حروف القوافي وحركاتها وأسمائها وأنواعها وحروف الروي، واستخدامه للقوافي المطلقة فقط، ثم أوضحنا استخدامه للتصريح في قصائد المديح، كذلك الأبيات المدورة في شعره المدحي وجمال قوافيه. كما تضمن هذا البحث آراء النقاد والدارسين في غرض شعر زهير المدحي.

أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه معاني شعره في غرض المديح وفيه بواعث شعر المديح عنده والصفات التي أعجبت زهيراً في ممدوحيه ثم حسن التخلّص إلى المديح وعدم وجود الشكوى والاعتذار والهجاء ومدح النفس إلى جانب مدح الممدوح وعدم السؤال بالشعر المدحي، ووقفنا عند أهم موضوعين هما المبالغة في المدح وعدم التكسب بالشعر.

وفي المبحث الثالث والأخير الخاص بالخصائص الفنية لشعر زهير بن أبي سلمى بينا استخدامه المحسنات البديعية وأبرزها الطباق والجناس. ثم التصوير من خلال التشبيه والاستعارة في الشعر المدحي، ثم التكرار الصوتي للكلمات وللحروف فضلاً عن توالي الحركات المتجانسة في شعره المدحي، مما يفضي طابعاً جمالياً فنياً على شعره المدحي بخاصة.

المبحث الأول

أولاً: شعر زهير في غرض المديح
 جاء في (الصحاح في اللغة): ((مدحه: أحسن الثناء عليه، ونقيضه الهجاء، والمدح بمعنى الوصف الجميل يقابله الذم، وبمعنى عدّ المآثر ويقابله الهجو))^(١)، وجاء في (لسان العرب): ((المدح نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء))^(٢)، وجاء في (تاج العروس): ((المدح هو الثناء الحسن))^(٣)، و ((المديح هو ما يمدح به من الشعر))^(٤)، و ((المدح هو فن الثناء والإكبار والاحترام))^(٥).

وقد تبين لنا من خلال دراستنا لشعر زهير بن أبي سلمى البالغ (٨٧٥) بيتاً، بحسب شرح شعر زهير بن أبي سلمى لأبي العباس ثعلب أن مجموع عدد أبيات المديح هو (٤٩٤) أي ما نسبته ٥٦,٥% ولو تأملنا ملياً في شعر زهير الذي قاله في غرض المديح لوجدنا أنفسنا أمام الجدول الآتي:

البحر الشعري	الطويل	البسيط	الكامل	الوافر	المتقارب	مجموع الأبيات الشعرية	النسبة المئوية
هرم بن سنان	٧٢	٩٠	٢٣	١٦	-	٢٠١	٤٠.٧%
هرم بن سنان والحرث بن عوف	١٠١	-	-	-	-	١٠١	٢٠.٥%
سنان بن أبي حارثة	٢٤	١٣	٢٧	١٢	١٧	٩٣	١٨.٨%
حصن بن حذيفة	٤٥	-	-	-	-	٤٥	٩.١%
بنو سنان	-	٣٢	-	-	-	٣٢	٦.٥%
الحرث بن ورقاء	-	٩	٤	-	-	١٣	٢.٦%
قوم امرأته أم كعب	-	-	-	٥	-	٥	١%
بنو ورقاء	-	-	٤	-	-	٤	٠.٨%
المجموع	٢٤٢	١٤٤	٥٨	٣٣	١٧	٤٩٤	
النسبة المئوية	٤٩%	٢٩.٢%	١١.٧%	٦.٧%	٣.٤%		١٠٠%

ولو تأملنا هذا الجدول، لخرجنا بالاستنتاجات الآتية:

- ١- الصحاح في اللغة، إسماعيل بن حماد الجوهري، مادة (مدح).
- ٢- لسان العرب، ابن منظور، المجلد الثاني، دار الفكر ودار صادر، بيروت، ص ٥٨٩.
- ٣- تاج العروس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، مادة (مدح).
- ٤- دراسات في الأدب الجاهلي، د. عبد العزيز نبوي، ١٧٨.
- ٥- المديح، سامي الدهان، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨، ص ٥.

١. البحور الشعرية : أستخدم زهير في كتابة قصائده المدحية خمسة بحور هي : الطويل ، البسيط ، الكامل ، الوافر ، والمتقارب ، وكان أكثر البحور الشعرية استخداماً هو البحر الطويل ، الذي أستخدم في كتابة ما يقرب من نصف الأبيات الشعرية المدحية (٤٩%) ، وجاء بعد البحر الطويل ، البحر البسيط (٢٩.٢%) فالكامل (١١.٧%) ، أما البحران الوافر والمتقارب فكان حظ استخدامهما قليلاً ، إذ لم يستخدموا الا في كتابة عشر الأبيات الشعرية المدحية . والدارس للبحور الشعرية التي كتب بها زهير بن أبي سلمى شعره عموماً ، يجد أن تلك البحور كانت سبعة بحور ، أستخدم خمسة منها في كتابة القصائد المدحية ، أما البحران اللذان لم يستخدمهما في كتابة القصائد المدحية وأستخدمهما في كتابة قصائد ذات أغراض أخرى فهما : المنسرح والرمل ، ولا بد من الإشارة إلى إن هذين البحرين (المنسرح والرمل) لم يستخدمهما زهير الا في كتابة (٣٠) بيتاً شعرياً ، أي ما نسبته (٣%) من مجموع شعره ، إذن فهما شبه مهملين . ومما تقدم ، يبدو لنا إن زهيراً أستخدم ذات البحور الشعرية في كتابة أغراض شعرية مختلفة ، ونجح في تطويع البحور الشعرية التي كتب بها أشعاره لاستيعاب مضامين مختلفة وأغراض متعددة ، ومثال ذلك ، استخدامه البحر الطويل في أغراض : المديح والهجاء والوصف والثناء والفخر والحكمة ، واستخدامه البحر الوافر في أغراض : المديح والهجاء والثناء والفخر والحكمة والعتاب ، وهكذا .

٢. أطوال القصائد : لو نظرنا إلى قصائد زهير بن أبي سلمى المدحية لوجدنا انه كتب (١٧) قصيدة ، ضمت (٢٢٩) بيتاً شعرياً ، وثلاث قطع ضمت (١٣) بيتاً شعرياً . ولو دخلنا في تفاصيل أطوال القصائد ، لوجدنا أن زهيراً كتب سبع قصائد مدحية طويلة ، وهي : قصيدة واحدة ضمت (٦٠) بيتاً شعرياً ، وثلاث قصائد تراوحت أطوالها ما بين (٤١) و(٤٦) بيتاً ، إضافة إلى ثلاث قصائد أخرى تراوحت أطوالها ما بين (٣٢) و(٣٧) بيتاً شعرياً ، وليس لزهير قصائد طويلة أخرى من بين مجمل شعره ، سوى ثلاث قصائد ، اثنتان منها في غرض الهجاء ، طول القصيدة الأولى (٦٦) بيتاً شعرياً ، وطول الثانية (٣٣) بيتاً شعرياً ، وقصيدة واحدة في غرض الوصف ، بلغ طولها (٣٣) بيتاً شعرياً ، وهكذا يتبين لنا أن سبع قصائد من مجموع القصائد العشر الطويلة التي كتبها زهير كانت في غرض المديح ، وهي بلا شك من القصائد التي تسمى بـ (الحوليات) ، والحق أن ((مطولات زهير ، وأكثرها في المدح ، هي في الوقت نفسه قصائده الحوليات التي لوحظت فيها ظاهرة التفتيح))^(١) ، والقصائد المدحية السبع الطوال ، قال زهير ثلاثاً منها في مدح هرم بن سنان ، وقال اثنتين منها في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف ، كما قال واحدة منها في مدح قوم بني سنان ، أما السابعة فقالها في مدح حصن بن حذيفة .

٣. الممدوحون: لو أجرينا مراجعة لممدوحي زهير رجالاً وأقواماً ، لتوصلنا إلى الجدول الآتي :

ت	أسم الممدوح	عدد القصائد	عدد القطع	عدد الأبيات الشعرية	النسبة المئوية
١	سنان بن أبي حارثة المرّي	٥	-	٩٣	١٨.٨%
٢	هرم بن سنان بن أبي حارثة المرّي	٧	-	٢٠١	٤٠.٧%
٣	هرم بن سنان بن أبي حارثة المرّي والحارث بن عوف بن أبي حارثة المرّي	٢	-	١٠١	٢٠.٥%
٤	قوم بني سنان	١	-	٣٢	٦.٥%
٥	حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري	١	-	٤٥	٩.١%
٦	الحارث بن ورقاء وقومه	١	٢	١٧	٣.٤%
٧	قوم أم كعب	-	١	٥	١%
	المجموع	١٧	٣	٤٩٤	

ومن جدول الممدوحين ، يمكن الخروج بالأستنتاجات الآتية :

- أ- إن الرجل الذي خصّه زهير بأكثر عدد من الأبيات الشعرية المدحية (٢٠١) بيتاً شعرياً ، كان (هرم بن سنان) ، إذ خصّه بما نسبته (٤٠.٧%) من مجموع أبيات شعره المدحية .
- ب- أن زهيراً قال في مدح سنان بن أبي حارثة المرّي وقومه وأبنيه هرم وأبن أخيه الحارث ، ما مجموعه (٤٢٧) بيتاً شعرياً ، وهذا شكّل ما نسبته (٨٦.٥%) من مجموع شعره المدحي .
- ج _ إن كل ما قاله زهير في مدح حصن بن حذيفة والحارث بن ورقاء وقومه وقوم أم كعب ، كان (٦٧) بيتاً شعرياً ، وهذا لم يشكل الا نسبة ضئيلة من مجموع شعره المدحي مقدارها (١٣.٥%) .
- ومما تقدم ، يظهر لنا أنّ أبا العباس ثعلب ، كان محقّقاً حين قال عن زهير أنه ((كان منقطعاً إلى آل أبي حارثة يمدحهم))^(١) ،
- وقال عنه أيضاً ((كان مدّاحاً لهرم بن سنان منقطعاً إليه))^(٢) وحقيقة انقطاع زهير إلى مدح آل أبي حارثة وهم من أشرف غطفان أكدها طه حسين ، حين قال عن زهير ((كان كثير المدح ، أنقطع

١ - شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ١٤٥ ، صنعة أبي العباس ثعلب ، تحقيق د.فخر الدين قباوة .
١- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ١٤٥ .

إلى جماعة من أشرف غطفان ، فأستنفذ في مدحهم أكثر ما قال من الشعر))^(١) وقد قيل أن ((معلقة زهير هي أول قصيدة مدح بها هرماً ، ثم تابع ذلك بعد))^(٢) .

ثانياً : قوافي شعر زهير في غرض المديح

القافية، ((كما قال الخليل : هي من آخر ساكن في البيت ، إلى أقرب ساكن يليه ، مع المتحرك الذي قبله))^(٣) ، وللتعرف على القوافي لابد من معرفة حروف القافية وحركاتها وأنواعها وأسمائها ، وحروف القافية ستة هي ((

١. الروي: وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة .
 ٢. الوصل : هو حرف مدّ ، ينشأ عن إشباع الحركة في آخر الروي المطلق .
 ٣. الخروج : هو حرف لين يلي هاء الوصل .
 ٤. الرّدْف : هو حرف لين ساكن (واو أو ياء بعد حركة لم تجانسهما ، أو حرف مدّ (ألف أو ياء أو واو ، بعد حركة مجانسة) قبل الروي يتصلان به
 ٥. التأسيس : هو ألف هاوية لا يفصلها عن الروي الا حرف واحد متحرك .
 ٦. الدخيل : هو حرف متحرك فاصل بين التأسيس والروي))^(٤)
- وحركات القافية ، ست أيضا ، وهي : ((

١. الرّس : هو حركة ما قبل ألف التأسيس .
٢. الإشباع : هو حركة الدخيل .
٣. الحذو : هو حركة ما قبل الرّدْف .
٤. التوجيه : هو حركة ما قبل الروي المقيدّ .
٥. المجرى : هو حركة الروي المطلق .
٦. النفاذ : هو حركة هاء الوصل الواقعة بعد الروي))^(٥)

أما أسماء القافية ، فخمسة ، وهي : ((

١. المتكاوس : هو أن تتوالى أربع متحركات بين ساكني القافية .
٢. المتركب : هو أن تتوالى ثلاث متحركات بين ساكني القافية .
٣. المتدارك : هو أن يتوالى حرفان متحركان بين ساكني القافية .
٤. المتواتر : هو أن يقع متحرك واحد بين ساكني القافية .

٥. المترادف : هو أن يجتمع ساكنان في القافية وهو خاص بالقوافي المقيدة))^(٦) وتكون القافية على نوعين هما ((القافية المقيدة وهي التي يكون رويها ساكناً ، والقافية المطلقة ، وهي التي يكون رويها متحركاً))^(٧) .

٢ - المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين ، المجلد الثاني ، دار الكتاب اللبناني ، ط/٢ ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٩٤ .

٣- الأغاني : ٢٩٤/١٠ .

٤- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب : ١١٣ .

٥- المصدر السابق : الصفحات ١١٣ و١١٤ و١١٥ و١١٦ .

٦- المصدر السابق : ١١٨ .

٦- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب : ١٢١ .

٧- فن النقط الشعرية والقافية : ٢١٧ .

الآن لو درسنا قوافي قصائد زهير بن أبي سلمى المدحية ، بضوء ما تقدّم ، من أجل معرفة حروف تلك القوافي وحركاتها وأسمائها وأنواعها ، فأنا سنجد أنفسنا أمام الجدول الآتي ، الذي يعتمد أرقام القصائد المدحية، التي وردت في ديوان زهير :

من دراسة الجدول السابق ، نخرج بالاستنتاجات الآتية :

١. حروف الروي :

يمكن تبين خلاصة حروف الروي التي استخدمها زهير في قصائده المدحية ، وعدد الأبيات الشعرية التي استخدم كل حرف فيها ، من خلال الجدول الآتي :

ت	حروف الروي	عدد القصائد	عدد القطع	عدد الأبيات الشعرية	النسبة المئوية
١	ل	٥	-	١٣٦	٢٧.٥%
٢	م	٣	-	١١٣	٢٢.٩%
٣	د	٣	-	١٠٥	٢١.٣%
٤	ن	٣	-	٥٨	١١.٦%
٥	ر	٢	-	٣٦	٧.٣%
٦	ق	١	-	٣٣	٦.٧%
٧	الهمزة	-	٢	٨	١.٧%
٨	هـ	-	١	٥	١%
المجموع	٨	١٧	٣	٤٩٤	١٠٠%

ومن هذا الجدول ، يتبين لنا إن زهيراً استخدم في كتابة قصائده المدحية ثمانية أحرف من حروف الروي فقط ، وهي (ل ، م ، د ، ن ، ر ، ق ، الهمزة ، والهاء) ، وإذا علمنا إن خمسة من هذه الحروف وهي (اللام ، الميم ، الدال ، النون ، الراء) هي من ((القوافي الذلل))^(١) ، أو ((من أشيع حروف الروي))^(٢) ، فهذا يعني أن (٩٠.٦%) من قوافي زهير التي استخدمها في قصائده المدحية هي من القوافي الذلل أو من أشيع القوافي المستخدمة في الشعر العربي ، أما الحرفان (القاف) و (الهمزة) فهما ((من حروف الروي التي تلي أشيع حروف الروي))^(٣) وقد استخدمهما زهير في قصائده المدحية بنسبة ضئيلة كان مقدارها (٨.٤%) ، ولم يستخدم زهير من ((القوافي الثفر))^(٤) أو ((حروف الروي الأقل شيوعاً))^(٥) سوى حرف واحد هو (الهاء) ، وجاء استخدامه على نحو محدود جداً إذ اقتصر على خمسة أبيات شعرية فقط ، لم تشكل إلا ما نسبته (١%) من مجموع القوافي المستخدمة .

٢. استخدام القوافي المطلقة : كانت جميع القوافي التي استخدمها زهير في قصائده المدحية من نوع القوافي المطلقة ، ولم تكن هناك أي قافية مقيدة ، ويشير الدكتور صفاء خلوصي إلى ((أن نسبة استخدام القوافي المقيدة في الشعر العباسي أكثر منها في الشعر الجاهلي لشبوع الغناء أيام العباسيين))^(٦)

٣. أسماء القوافي المستخدمة :

لو أجرينا مراجعة لأسماء القوافي التي استخدمها زهير في قصائده المدحية ، لتكون لدينا الجدول الآتي :

- ١- فضاء البيت الشعري : ١٠٧ ، لعبد الجبار داود البصري .
- ٢- فن التقطيع الشعري والقافية : ٢١٥ ، للدكتور صفاء خلوصي .
- ٣- المصدر السابق : ٢١٥ .
- ٤- فضاء البيت الشعري : ١٠٧ .
- ٥- فن التقطيع الشعري والقافية : ٢١٧ .
- ٦- فن التقطيع الشعري والقافية : ٢١٧ .

ت	أسم القافية	عدد القصائد	عدد القطع	عدد الأبيات الشعرية	النسبة المئوية
١	المترادف	صفر	صفر	صفر	صفر
٢	المتكاوس	صفر	صفر	صفر	صفر
٣	المتدراك	٥	صفر	٢٠٢	٤٠.٩%
٤	المتواتر	٨	٣	١٧٧	٣٥.٧%
٥	المتراكب	٤	صفر	١١٥	٢٣.٤%
	المجموع	١٧	٣	٤٩٤	١٠٠%

ومن هذا الجدول يظهر لنا إن زهيراً استبعد قافية (المتكاوس) من قوافي قصائده المدحية ، وحسناً فعل ، لأنها ثقيلة لاعتمادها على أربع متحركات بين ساكني القافية ، أما قافية (المترادف) فأنها لم تكن موجودة لسبب بسيط هو أنها لا تأتي إلا مع القوافي المقيدة ، وقوافي زهير المدحية جاءت كلها مطلقة . وهكذا استخدم زهير في قصائده المدحية ثلاثة من أسماء القافية الخمسة ، وهي المتدراك (٤٠.٩%) ، والمتواتر (٣٥.٧%) والمتراكب (٢٣.٤%) .
٤. استخدام التصريح :

التصريح هو ((إحق العروض بالضرب وزناً وتقفية سواء بزيادة أم بنقصان))^(١) وهو ((أن تقصد لتصبير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة ، مثل قافيتها))^(٢) ولو أجرينا مراجعة لقصائد زهير وقطعه المدحية ، لوجدنا ما يأتي :

أ. القصائد المصّرة المطالع : ١٤ قصيدة

ب. القصائد غير المصّرة المطالع : ٣ قصائد

ج . القطع غير المصّرة : ٣ قطع (جميع القطع) .

وهكذا يتضح لدينا إن اغلب مطالع القصائد المدحية جاءت مصّرة ، و((كان النقاد يرون ضرورة التصريح ولزومه ، لانه مذهب الشعراء المطبوعين المجيدين ، ولأن بنية الشعر إنما هي التسجيع والتقفية))^(٣) ، ولو أنقلنا لنرى التصريح في عموم مطالع قصائد زهير وقطعه ونثقه وأبياته المفردة ، لوجدنا أن عدد مطالع القصائد المصّرة هو (١٩) قصيدة فقط من مجموع (٣٦) قصيدة ، ولوجدنا إن جميع مطالع القطع والنثف والأبيات المفردة غير مصّرة وهو أمر يبعث على الدهشة حقاً ، والجهد الإحصائي يبين لنا أن من بين (٥٣) مطلعاً هي مجموع مطالع القصائد والقطع والنثف والأبيات المفردة التي كتبها زهير كان هناك (١٩) مطلعاً مصّراً فقط . والنقطة الأخرى التي تثير الدهشة ، هي إن زهيراً لم يستخدم التصريح في غير مطالع القصائد والقطع والنثف والأبيات المفردة ، أي في المتون إلا في بيت واحد فقط ، والشعراء العرب القدماء والمحدثون ((ربما صرّعوا أبياتاً آخر من القصيدة بعد البيت الأول ، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بصره ، وأكثر من كان يستخدم ذلك أمرؤ القيس))^(٤) والبيت الوحيد الذي صرّعه زهير داخل متن إحدى قصائده هو :

٢- نقد الشعر : ٨٦ .

٣- المصدر السابق : ٨٦ .

٤- بناء القصيدة في النقد العربي القديم : ١٧٤ ، للدكتور يوسف حسين بكار .

١- نقد الشعر : ٨٦ .

لمن طلل كالوحي ، عاف منازلَه ؟ عفا الرّس منه ، فالرّسيس فعاقله^(١) وهذا أمر يثير الاستغراب . ولأن زهير بن أبي سلمى ، لم يصرّع أغلب مطالع قصائده وكل مطالع قطعه ونتفه وأبياته المفردة ، وقع في أحد عيوب القوافي وهو (التجميع) ، و ((التجميع هو ان تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على روي متهيء لأن تكون قافية آخر البيت فتأتي بخلافه))^(٢) ومن أمثلة عيب (التجميع) في مطالع قصائد زهير المدحية ، ما يأتي :

متى تذكر ديار بني سحيم بمقلية ، فلست بمن قلاها^(٣)
غدت غد التاي ، فقلت : مهلا أفي وجد ، بسلمى ، تعذلاني^(٤)
تبين ، خليلي ، هل ترى من طعائن بمنعرج الوادي ، فويق أبان^(٥)

٥. أنواع القوافي حسب حروفها :

يمكن إجمال أنواع القوافي التي أستخدمها زهير في شعره المدحي بموجب الجدول الآتي

ت	أسم القافية	عدد القصائد	عدد القطع	عدد الأبيات الشعرية	النسبة المئوية
١	مطلقو غير مردفة ولا مؤسسة	١٠	-	٣٣٢	٦٧.١%
٢	مطلقة مردفة بالألف وموصولة بمد	٢	٢	٤٦	٩.٣%
٣	مطلقة مؤسسة موصولة بهاء الوصل	١	-	٤٥	٩.٢%
٤	مطلقة مردفة بياء أو واو بالتناوب	٣	-	٤٢	٨.٦%
٥	مطلقة مؤسسة موصولة بمد	١	-	٢٤	٤.٨%
٦	مطلقة مردفة بالألف مع ألف خروج	-	١	٥	١%
	المجموع	١٧	٣	٤٩٤	١٠٠%

ومن الجدول السابق يتبين لنا أن جلّ قوافي شعر زهير المدحي (٦٧.١%) كانت من نوع القوافي المطلقة غير المردفة ولا المؤسسة ، ولو نظرنا إلى جمال القوافي لعلمنا ((إن أجمل ما يمكن أن تصل إليه القافية العربية هي عندما تكون مردفة بالألف أو مؤسسة وفيها وصل ناتج عن إشباع حركة الروي أو إضافة هاء الوصل))^(١)، ولا تشكل القافية المردفة بالألف سوى (٩.٣%) من مجموع قوافي زهير في شعره المدحي ، كما لا تشكل القافية المؤسسة الموصولة بهاء الوصل سوى (٩.٢%) من مجموع قوافي ذلك الشعر ومن قوافي زهير المطلقة المردفة بالألف ، قوله :

إذا الخيل جالت، في القنا، وتكشفت
عوا بس ، لا يسألن غير طعان^(٧)
وكرّت جميعاً ، ثم فرق بينها
سقى رمحه ، منها ، بأحمر آني^(٨)

ومن قوافي زهير المطلقة المؤسسة الموصولة بهاء الوصل ، قوله :

٢- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ١٠٢ . الطلل : ما بدا من شخصه ، الرّسم : ما بدا من أثره ، الرّس والرّسيس : ماءان لبني أسد .
٣- بناء القصيدة في النقد العربي القديم : ١٧٤ .
٤- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٢٤٣ .
٥- المصدر السابق : ٢٦٢ . غدت : جاءت غداة ، العدالة : اللانمة ، مهلاً : زجر للنهي .
٦- المصدر السابق : ٢٦٦ . منعرج الوادي : منعطفه ، الطعائن : النساء في الهوداج ، أبان : أسم جبل .
١- فن التقطيع الشعري والقافية : ٢٦٥ .
٢- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٢٧٠ . عوا بس : كوالح ، تكشفت : انهزمت .
٣- المصدر السابق : ٢٧٠ . أن : الذي قد انتهت حمرة .

وقال العذاري : إنما أنت عمّا
فأصبحن ما يعرفن إلا خليقتي
ومن قوافي زهير المطلقة غير المردفة وغير المؤسسة ، التي أكثر من استخدامها :
هل في تذكّر أيام الصبا فند؟
أم هل يلامن باك هاج عبرته
٦ . استخدام الأبيات المدوّرة :

البيت المدور ((هو البيت الذي اشترك شطراه في كلمة واحدة ، بأن يكون بعضها من الشطر الأول وبعضها من الشطر الثاني))^(٥) ، والبيت المدور هو البيت الذي تلغى فيه الحدود بين صدره وعجزه ويصبح كتلة واحدة ، ولذلك تستمر موسيقى البيت الشعري من بدايته حتى نهايته دون انقطاع . وقد جاء من بين شعر زهير المدحي الذي بلغ عدد أبياته (٤٩٤) بيتاً شعرياً ، ما مجموعه (١٨) بيتاً شعرياً مدوراً ، وتلك الأبيات هي : الأبيات (١٠ ، ١٢ ، ١٨ ، ١٩) من القصيدة (٤) ، والأبيات (١٢ ، ٢٢ ، ٣٣) من القصيدة (٨) ، والأبيات (٢ ، ٣ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦) من القصيدة (١١) ، والبيت (٧) ، من القصيدة (١٢) ، والبيت (٤٠) من القصيدة (١٤) ، والبيت (٢٢) من القصيدة (٢٤) ، ومن تلك الأبيات :

إن البخيل ملوم حيث كان ولـ
بلين ، وتحسب آياتها—
كن الجواد على علاقته هـرم^(٦)
نـ ، عن فرط حولين ، رقاً محيلاً^(٧)

٧ . جمال القوافي :
كفضل جواد الخيل ، يسبق عفوه الـ
سراع ، وان يجهدن ، يجهد ويبعد^(٨)

فيما عدا عيب (التجميع) الذي ذكرناه عند الحديث عن (استخدام التصريع) ، فلا عيب في قوافي زهير المدحية ، فزهير ((كان يستوفي ضروراً من الإتقان والكمال في موسيقاه ، فليس فيها نشاز من اقواء وليس فيها اجتلاب قافية وإكراهها على إحلالها في أماكنها ، فقوافيه تتمكن في مواضعها ، ومهما ضاق عليه هذا الموضع نفذ منه على أجمل صورة وأنظر إلى قوله في معلقته :

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي^(٩)
فقد وصل إلى القافية ، فوجد نفسه مضيقاً عليه ، ولم يلبث أن نفذ إلى كلمة (عمي) فتمم البيت في غير عسر ولا مشقة ، ومن ذلك قوله :

-
- ٤- المصدر السابق : ١٠٢ . الخليط : صاحب ، نزايله : نفاقه .
٥- المصدر السابق : ١٠٢ . خليقتي : شيمتي .
٦- المصدر السابق : ٢٠١ . الفند : الخطأ ، الردد : جمع ردة وهو الارتجاج .
٧- المصدر السابق : ٢٠١ . الحجر : أسم موضع ، شف : أو هن ، الوجد : الحب الشديد .
٨- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب : ٢١ .
٩- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ١١٩ . على علاقته : على عسره ويبسره .
١٠- المصدر السابق : ١٤٦ . بلين : درسن ، آياتهن : علامتهن ، فرط حولين : مضي حولين .
١- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ١٦٩ . عفوه : ما جاء عفواً ، ويبعد : يسبق ، السراع : جمع سريع .
٢- المصدر السابق : ٣٥ .

هم يضربون حبيك البيض إذ لحقوا لا ينكرون إذا ما استلحموا وحموا^(١)
فقد نفذ من الدرب الضيق في القافية بما جاء به من كلمة (حموا) ((^(٢) وقد ذكر قدامة
بن جعفر ، نوعاً من أنواع ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر معنى البيت ، وهو (الإيغال) ، جاء
في شعر زهير المدحي ، و (الإيغال) هو ((أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً من غير أن
يكون للقافية في ما ذكره صنع ، ثم يأتي بها لحاجة الشعر فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره من
المعنى في البيت))^(٣) ، وبيت زهير الذي ذكره قدامه وفيه (إيغال) هو :

كأن فتات العهن في كل منزل نزلن به حب ألفنا لم يحطم^(٤)

ويقول عنه : ((٠٠٠ فالعهن هو الصوف الأحمر ، والفنا حبّ تنبته الأرض أحمر ، فقد
أتى على الوصف قبل القافية ، لكن حبّ ألفنا إذا كسر كان مكسره غير أحمر ، فا ستظهر في
القافية لما أن جاء بها بعد أن قال (لم يحطم) فكأنه وكّد التشبيه بإيغاله في المعنى))^(٥) ومن أنواع
ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر معنى البيت ، الذي جاء في شعر زهير المدحي ، نوع
(التوشيح) ، وهو ((أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته ومعناها متعلقاً به ، حتى إن الذي يعرف
قافية القصيدة ، التي البيت منها إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته))^(٦) ، ومن
الآبيات التي استخدم فيها زهير (التوشيح) هذين البيتين :

وأن يقتلوا فيشتقى بدمائهم وكانوا قديماً ، من مناياهم القتل^(٧)
وذي نسب ناء ، بعيد ، وصلته ، وما يدري بأنك واصله^(٨)

ثالثاً : شعر زهير في غرض المديح كما يراه الدارسون

إذا كان زهير قد شغل النقاد والدارسين قديماً وحديثاً بحوليّاته ، فإنه شغلهم أكثر بقصائده
المدحية التي طار صيتها في الآفاق وردّتها الألسن في كل حذب وصوب من بعده ، حتى ملكت
قلوب السامعين ، ولو أستعرضها ما قاله النقاد والدارسون والباحثون في شعر زهير بن أبي سلمى
المدحي ، لوجدنا أنهم أجمعوا على الأهمية البالغة لذلك الشعر الخالد ، وتفوق زهير فيه على نحو
واضح . يقول الدكتور طه حسين عن زهير بن أبي سلمى : ((أجمع القدماء على
أنه من أبرع الشعراء في المدح))^(٩) ، وأضاف أن ((فن المدح هو الفن الذي تفوق فيه زهير
على غيره من الشعراء الذين عاصروه))^(١٠) ، ويقول الدكتور أحمد طلحة : ((أجود شعر زهير
كان في المدح))^(١١) ، كما يقول^(١٢) : ((خير شعر هو في مدح هرم بن سنان ، كقوله :

٣- المصدر السابق : ١٢٣ . حبيك البيض : طرائقه ، استلحموا : أدركوا ، حموا : غضبوا .

٤- تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي : ٣٢٨ .

٥- نقد الشعر : ١٦٨ .

٦- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٢٢ . حبّ الفنا : شجر له حبّ شديد الحمرة .

٧- نقد الشعر : ١٦٩ .

٨- المصدر السابق : ١٦٧ .

٩- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٨٧ .

١٠- المصدر السابق : ١١٣ .

١- المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين ، المجلد الثاني ، ص ١٠٥ .

٢- المصدر السابق : ١١٤ .

٣- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ١٤ .

٤- المصدر السابق : ١٥ .

قد جعل المبتغون الخير في هرم
من يلق يوماً على علاته هرماً

والسائلون إلى أبوابه طرقاً^(١)
يلق السماحة منه والندى خلقاً^(٢)

وقوله :

دع ذا وعد القول في هرم
لو كنت من شيء سوى بشر

• كنت المنير لليلة البدر^(٤) ((
وقد قال الأصمعي ، كما أخبرنا أبو العباس ثعلب ، عن بيت زهير :
قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرقاً^(٥)
((هذا بيت القصيد))^(١)

ويقول الدكتور شوقي ضيف : ((تلمع بين مدائح زهير معلقته))^(٧) و ((
يصف قصيدة زهير الرائية التي يقول فيها :

دع ذا وعد القول في هرم
خير البداة وسيد الحضرة
• ((^(٨) بالرأعة))

وجاء في كتاب (تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ج ٢) : ((يحتل المدح مرتبة
الصدارة في الباقي من شعر زهير))^(٩) ، وجاء فيه حول معاني المديح لدى زهير ((إن
أهم ميزة لمدح زهير انه كان يفرغه في صفة معينة في ممد وحية أو الإشادة بعمل معين من
أعمالهم))^(١٠) ، وأن زهيراً ((لم يخلط مدحه بالفخر أو الشكوى أو نحو ذلك مما يشوب مدح
غيره))^(١١) ، وأن ((لزهير معان في المدح تدلّ على إجادته هذا الفن وخبرته فيه ، وهي معان
أعجب بها الناس منذ عصره ، مثل قوله :

قد جعل المبتغون الخير في هرم
والسائلون إلى أبوابه طرقاً

وقوله :

تراه إذا ماجنته متهللاً كأنك
تعطيه الذي أنت سائله^(١٢) •

ونعود للدكتور طه حسين الذي أسرف في تبيان إعجابه بمدح زهير بن أبي سلمى ، فهو
يقول : ((كان مدحه خليقاً أن يبقى وأن يحفظه الناس ، لصدقه وارتفاعه عن السخف وبعده عن
الإحالة وتوخيّه هذه الخصال التي يحبها الناس ، ويحبها العرب خاصة))^(١٣) ، ويرى وهو يتحدث
عن شعر زهير المدحي أن ((أجمل شيء في هذا الشعر أنه واضح سهل ، لا يجهد سمعك أن

٥- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٤٦ • المبتغون : الطالبون •

٦- المصدر السابق : ٥٠ •

٧- المصدر السابق : ٧٧ • عدّ القول : أصرفه إليه ، الحضرة : أهل الحضرة •

٨- المصدر السابق : ٨٢ • لليلة البدر : في ليلة البدر •

٩- المصدر السابق : ٤٦ •

١٠- المصدر السابق : ٤٦ •

١١- تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي : ٣٠٧ •

١٢- المصدر السابق : ٣١١ •

١٣- تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ٢ / ٢٧٠ •

١- تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ٢ / ٢٧٣ •

٢- المصدر السابق ٢ / ٢٧٣ •

٣- تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ٢ / ٢٧٨ و ٢٧٩ ، شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ١١٣ • متهللاً : مستبشراً •

٤- المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين ، المجلد الثاني ، ص ١١٤ •

٦- المصدر السابق : ١١٥ •

سمعته ولا يجهد عقلك إن وعيته ، وإنما هو نقي ناصع كصفحة الشمس))^(١) ، ويضيف : ((لا يحتاج مدح زهير إلى النقد ولا إلى التفريط ، وإنما يحتاج إلى أن يقرأ ويقرأ ، وأن يجد القارئ هذه اللذة التي لا تقنى ، والتي توجد في الشعر الصادق الذي لا إسراف فيه ولا إحالة ولا تكلف))^(٢) ، ويعلن الدكتور طه حسين إعجابه الشديد بأحد أبيات زهير المدحية ، فيقول : ((البيت البديع الذي لا أعرف أبداع منه في سذاجته ويسره ، وارتفاعه عن التكلف ، وتصويره لطبيعة الإنسان السهلة السمحة ، التي لم تعقدها الفلسفة ، ولم يلح عليها الترف ، ولم تخرجها الحضارة عن طورها :

تراه إذا ما جنّته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله))^(٣)

ويقول الدكتور طه حسين عن بيت زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعري أفراس الصبّا ورواحله^(٤)

((أصحاب البيان مشغولون بهذا البيت ، وبالشطر الثاني منه خاصة ، لأنه جعل فيه لصبّا أفراساً ورواحل))^(٥) .

وإذا كان شعر المديح معنياً بفضائل الناس ، فإن قدامة بن جعفر حدّد تلك الفضائل بأربع هي : ((العقل والشجاعة والعدل والعفة))^(٦) ، ورأى أن بعض الشعراء يقصّر عن ذكر جميع الفضائل ، فيما رأى أن زهير بن أبي سلمى أستوعبها جميعها ، وقال : ((والبالغ في التجويد إلى أقصى حدوده ، من أستوعبها ، ولم يقتصر على بعضها ، وذلك كما قال زهير بن أبي سلمى في قصيدته التي مدح بها حصن بن حذيفة الفراري :

أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله^(٧)

فوصفه في هذا البيت بالعفة ، لقلة إمعانه في اللذات ، وانه لا ينفد ماله فيها ، وبالسخاء لاهلاكه ماله في النوال وانحرافه إلى ذلك عن اللذات ، وذلك هو العدل :

تراه إذا ما جنّته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله^(٨)

فزاد في وصف السخاء بأن جعله يهشّ له ، ولا يلحقه مضض ، ولا تكره لفعله ، ثم قال :

فمن مثل حصن في الحروب ومثله لإنكار ضميم أو لخصم يجادله^(٩)

فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة ، والعقل ، فأستوعب زهير في أبياته هذه المديح بالأربع الخصال ، التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة ، وزاد في ذلك . . . حيث قال ((أخي ثقة)) صفة له بالوفاء والوفاء داخل في الفضائل التي قدّمنا ذكرها))^(١٠) وعندما ذكر قدامة

٧- المصدر السابق : ١١٥ .

٨- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ١٠١ . أقصر : كفّ ، الرواحل : الإبل .

٩- المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين ، المجلد الثاني ، ص ١٠١ .

١٠- نقد الشعر : ٩٦ .

١- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ١١٣ . أخو ثقة : موثوق به ، نائله : عطاؤه .

٢- المصدر السابق : ١١٣ .

٣- المصدر السابق : ١١٤ .

٤- نقد الشعر : ٩٦ .

بن جعفر ما أسماه بـ (مدائح الشعراء المحسنين) أي المجيدين ، أختار لزهير بن أبي سلمى تسعة أبيات من قصيدته القافية ، التي مدح بها هرم بن سنان ، وسبعة أبيات من قصيدته اللامية التي مدح بها هرم بن سنان والحارث بن عوف ، فضلاً عن الأبيات الأربعة التي مدح بها زهير بن زهير ، وبيتين مدح بهما هرم بن سنان في قصيدته الميمية ، أي أنه أختار لزهير (٢٢) بيتاً ، بينما لم يختار للحطينة سوى أحد عشر بيتاً ، ولم يختار لبشار بن برد سوى سبعة أبيات ، وأختار للفرزدق خمسة أبيات وللنابغة بيتين ولأبي العتاهية بيتاً واحداً فقط ^(١) ، ومن هنا تتبين لنا أهمية شعر زهير المدحي كما يراها قدامة بن جعفر .

ويرى سامي الدّهان ، ان زهير بن أبي سلمى ((مدح كل من قام بإصلاح ذات البين أو عمل عملاً كريماً ، كما فعل هرم بن سنان والحارث بن عوف حين أصلحا بين عبس وذبيان ودفعا الديّات من مالهما الخاص حقناً للدماء ، وكان مدحه لهما ولغيرهما يقتصر على ذكر الصفات البدوية من شجاعة ورأي كريم وأصل عريق وتقوى خالصة))^(٢) ، وفي ذات المعنى يقول الدكتور أحمد طلحة : ((إذا أراد أن يجود زهير في المدح ، أختار ما هو أليف به وأقرب إلى ذوق الناس في عصره من وصف ممدوحة بالبطولة والشجاعة والعفة والنائل الكثير ، والتهلل عند ورود العفاة))^(٣) وهكذا نرى ان الباحثين والدارسين والنقاد ، أعطوا زهير بن أبي سلمى حقه ، وهم ينظرون في شعره المدحي نظرة تمحيص وتدقيق ، وأنزلوه المنزلة التي يستحقها ، فمدحوه ومدحوا معانيه وأساليبه بينما كان هو منشغلاً في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف وحصن بن حذيفة وغيرهم .

المبحث الثاني

أولاً : معاني شعر زهير في غرض المديح

١. بواعث الشعر :

يثير شعر زهير المدحي موضوع (بواعث الشعر) ، وقد ((أدرك النقد القديم ضرورة توفر أنواع من الدواعي والبواعث والمحركات لتساعد الشاعر على النظم والتركيز))^(٤) ، وفي هذا الإطار ، يقول ابن قتيبة : ((للشعر دواع تحت البطيء ، وتبعث المتكلف ، منها الطبع ، ومنها الشوق ، ومنها الشراب ومنها الغضب))^(٥) . وقد كتب زهير قصائده ومقاطعته المدحية تحت تأثير (بواعث الشعر) ، فمعلقته كان وراءها (باعث للشعر) ، إذ ((كتب زهير معلقته الشهيرة على أثر نشوب الحرب بين عبس وذبيان بسبب خلاف على نتيجة السباق الذي دار بين (داحس) فرس بني عبس ، (والغبراء) فرس بني ذبيان ، ولما ازداد عدد القتلى بين الفريقين ، قام رجال الخير والإصلاح بمحاولات لفض الخلاف ، وفي طليعتهم هرم بن سنان والحارث بن عوف ،

٥- نقد الشعر : تنظر الصفحات (١٠٠-١١٣) .

٦- المديح : ٤٤ و ٤٥ .

٧- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ١٢ .

١- بناء القصيدة في النقد العربي القديم : ٦٣ .

٢- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦ ، ١/ص ٧٨ .

الذين أصلحوا بين القبيلتين ، ودفعوا ديّات القتلى من أموالهما الخاصة))^(١) ، وقصيدته في مدح حصن بن حذيفة الفزاري كان (الباعث) عليها ، ماجرى بين حصن وعمرو بن هند ، لما خاطب عمرو بن هند حصناً قائلاً له : ((إني ممّدك بخيل ، فأدخل في مملكتي))^(٢) ، فما كان من حصن إلا الردّ عليه بقوله : ((إن كان لا يكفيك ما جرّب أبوك ، فدونك لا تعتل ، فإنه ليس لي حصن إلا السيوف والرماح ، وأنا لك بالفضاء))^(٣) فكره عمرو قتاله . أمّا ما قاله زهير في مدح الحارث بن ورقاء الصيداوي ومدح قومه (وكذلك هجاؤه لها) ، فكان سببه ما قيل من ((إن الحارث بن ورقاء أغار على طائفة من بني سليم بن منصور ، فأصاب سبياً ، ثم انصرف راجعاً ، فوجد غلاماً لزهير بن أبي سلمى حبشياً ، يقال له يسار ، في ابل لزهير ، وهو أمن في ناحية أرضهم ، فسأله : لمن أنت ؟ ، قال : لزهير بن أبي سلمى ، فاستأفه ، وهو لا يحرمّ ذلك عليه ، لحلف أسد وغطفان ، فبلغ ذلك زهيراً ، فبعث إليه : أن رده ، فأبى فقال زهير في ذلك))^(٤) القصيدة (٩) من ديوانه وهي في هجاء الحارث ، ((فلما أنشد الحارث هذا الشعر ، بعث بالغلام ، فلامه قومه على ذلك ، وقالوا : أقتله ولا ترسل به إليه ، فأبى عليهم ، فقال زهير عند ذلك))^(٥) القصيدة (٢٦) من ديوانه في هجاء بني نوفل وهم رهط الحارث ، وقال أيضاً القصيدة (٩) من ديوانه في مدح الحارث ، والقصيدة (٣٧) في مدح قوم الحارث .

٢. الصفات التي أعجبت زهير في ممدوحيه:

إن الصفات التي أعجبت زهير في ممدوحيه وذكرها في شعره المدحي، كانت بارزة ومعروفة في ذلك الشعر على نحو واضح ، ومن أبرز تلك الصفات :

أ. إصلاح ذات البين وأدراك السلم بالمال والمعروف - وهذا ما قام به هرم بن سنان

والحارث بن عوف في حرب (داحس والغبراء) • يقول زهير في معلقته :

تدار كنتما عبساً وذبيان بعدما	تقانا، ودقوا بينهم عطر منشم ^(٦)
وقد قلتما أن ندرك السلم واسعاً	بمال ومعروف من الأمر نسلم ^(٧)
فأصبحتما منها على خير موطن	بعيدين ، فيها ، من عقوق ومأثم ^(٨)
عظيمين في عليا معد ، هديتما	ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم ^(٩)

ويقول في قصيدته الثانية في مدح هرم والحارث :

تدار كنتما الأحلاف ، قد تلّ عرشها	وذبيان ، قد زلت بأقدامها النعل ^(١٠)
فأصبحتما منها على خير موطن	سبيلكما فيها ، وان أ حزنوا، سهل ^(١١)

٣- المعلقات العشر : ٧١ .

٤- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ١٠١ .

٥- المصدر السابق : ١٠١ .

٦- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ١٢٧ .

٧- المصدر السابق : ١٣٨ .

١- المصدر السابق : ٢٤ . أي : تدار كنتماهما بالصلح بعدما تقانا بالحرب ، منشم : امرأة عطارة من خزاعة تحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا .

٢- المصدر السابق : ٢٤ .

٣- المصدر السابق : ٢٥ . خير موطن : خير منزلة ، العقوق : قطيعة الرحم ، المأثم : الأثم .

٤- المصدر السابق : ٢٥ . عليا معد : أعلاها ، و(معد) هو معد بن عدنان ، يستبح : يجده مباحاً ، يعظم : يجيء بأمر عظيم .

٥- المصدر السابق : ٩١ . الأحلاف : غطفان وعبس ، تلّ عرشها : هلك عرشها .

٦- المصدر السابق : ٩٢ . أ حزنوا : وقعوا في أمر شديد .

وفيهم مقامات ، حسان وجوهها وأندية ينتابها القول والفعل^(١)
ب. إكرم السائلين وذوي الحاجات - يقول زهير في مدحه لهرم أنه لا يسد أبوابه بوجه سائل أو محتاج ، ولذلك وجد الطالبون إلى أبوابه طرقهم، يقول زهير :
قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرقاً^(٢)
هو الجواد ، فإن يلحق بشأوهما على تكاليفه ، فمثله لحقاً^(٣)

أغرى أبيض فياض يفكك عن أيدي العناة وعن أعناقها الربقا^(٤)
من يلق يوماً على علته هرمأ يلق السماحة منه والندى خلقاً^(٥)
وفي سنوات الجذب ، وإذ لا يجد الناس لبناً فينحرون إبلهم ، ترى ذوي الحاجات يقصدون هرمأ والحارث فيلزمونهما ويسكنون عندهما حتى ينبت البقل ، وفي ذلك يقول زهير :

إذا السنّة الشهباء بالناس أجحفت ونال كرام المال في السنّة الأكل^(٦)
رأيت ذوي الحاجات ، حول بيوتهم قطيناً لهم ، حتى إذا أنبت البقل^(٧)
هنالك ، إن يستخبلوا المال يخبلوا وإن يسألوا يعطوا وإن يبسروا يغلوا^(٨)
ويشبه زهير ذوي الحاجات وهم يحومون حول قباب زهير تشبيهاً رائعاً ، فيقول :
كأنّ ذوي الحاجات حول قبابه جمال لدى ماء يحمن حواني^(٩)
ويمدح زهير ، حصن بن حذيفة ، لأن فواضله وعطاياه لا تنقطع عن يطلبون من عنده ، وهو لا تتلف الخمر ماله بل عطاؤه ، وهو يستبشر بمن يطلب منه ، فكأنه يعطيه ما يطلبه منه ، يقول زهير :

وأبيض فياض ، يدها غمامة على معتقيه ما تغب نوافله^(١٠)
أخي ثقة ، لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله^(١١)
تراه إذا ما جنته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله^(١٢)
ج. حماية الحرمات في وقت الشدة والعطف على الضعفاء : يذكر زهير وهو يمدح هرم بن سنان صفاته التي أحبها الناس ، فهو يمنحهم الأمان عندما يشعرون بالذعر ، ويؤويهم إذا (عضّهم) أمر عظيم ، ويحمي الحرمات في أوقات الشدة ،

٧- المصدر السابق : ٩٣ . مقامات : مجالس ، ينتابها القول والفعل : يقال فيها الجميل ويفعل .
٨- المصدر السابق : ٤٦ . المبتغون : الطالبون .
٩- المصدر السابق : ٤٩ . الجواد : الكريم ، شأوهما : غايتهما ، تكاليفه : شدته .
١٠- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٤٩ . أغر : في وجهه غره ، العناة : الأسرى ، الربق : حبل طويل .
١١- المصدر السابق : ٥٠ . على علته : على عسره ويسره .
١- المصدر السابق : ٩٢ . الشهباء : البيضاء من الجذب ، أجحفت : أتلفت أموال الناس .
٢- المصدر السابق : ٩٢ . القطين : الساكن في الدار ، أنبت البقل : أخصب الناس .
٣- المصدر السابق : ٩٣ . يستخبلوا المال : يطلب منهم للاستعارة ، يبسروا : من الميسر ، يغلوا : يأخذون سمان الإبل ولا ينحرون إلا غاليها .
٤- المصدر السابق : ٢٧٠ . يحمن : يجئن ويذهبن ، حواني : هي التي حنت أعناقها من العطش .
٥- المصدر السابق : ١١١ . يدها غمامة : تمطر يدها بالإعطاء ، المعتقون : الطالبون ، نوافله : عطايه كل يوم .
٦- المصدر السابق : ١١٣ . أخي ثقة : موثوق به .
٧- المصدر السابق : ١١٣ .

ويعطف على الضعفاء ، وحيثما رأى حمداً أنصرف إليه :

ولنعم حشو الدرع أنت ، إذا دعيت : نزال، ولج في الذعر^(١)
ولنعم مأوى القوم ، قد علموا إن عضهم جلّ من الأمر^(٢)
حامي الذمار، على محافظة الـ جلى ، أمين مغيب الصدر^(٣)
حذب على المولى الضريك ، إذا نابت عليه نوائب الدهر^(٤)
متصرف للحمد معترف للنائبات ، يراح للذكر^(٥)

ويقول زهير في مدح هرم بيتاً رائعاً هو :

ولأنت تقري ما خلقت وبع ض القوم يخلق ثم لا يفري^(٦)
د الصدق والخلق الكريم والتقوى والنقاء والبرّ لئله : فصلّ زهير في شعره المدحي ،
الصفات التي تعجبه في ممدوحه ، والتي منها الصدق والخلق الكريم والتقوى والبرّ لئله ، وهذه
الصفات فاضت بها قصائد زهير المدحية ، فيقول
له في الذاهبين أروم صدق وكان لكل ذي حسب أروم^(٧)
وعود قومه هرم عليه ومن عاداته الخلق الكريم^(٨)

ويقول:

تقيٌ ، نقيٌ ، لم يكثر غنيمة بنهكة ذي قربي ولا بحقلد^(٩)
أي لا يكثر ماله بظلم قرابته وأخذ مالهم ، بل هو على العكس من ذلك :
أليس بفيّاض ، يدها غمامة شمال اليتامى في السنين ، محمد^(١٠)
أنه شمال اليتامى : أي يطعمهم في السنين الشّداد ، وهو محمود على ذلك ، وهو إن كان يطعم
اليتامى من جانب ، فإنه من جانب آخر يرعى الأرامل :
من الأكرمين ، منصباً ، وضريبة إذا ما شتا تأوي إليه الأرامل^(١١)
ذلك هو هرم بن سنان وتلك هي صفات الخير التي يحملها ، ولكي يظنّ الناس عنده خيراً ،
جعل بيته أوسط البيوت :

٨- المصدر السابق : ٧٨ . لجّ في الذعر : تتابع الناس في الذعر ، نزال : مثل تراك ودراك .

٩- المصدر السابق : ٧٨ . جلّ : عظيم .

١٠- المصدر السابق : ٧٩ . الذمار : الحرمان ، الجلى : النازلة العظيمة .

١١- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٧٩ . نابت : نزلت ، نوائب الدهر : نوازله ، حذب : مشفق ، الضريك : الضعيف

١٢- المصدر السابق : ٨١ . متصرف للحمد : منصرف إليه .

١- المصدر السابق : ٨٢ . الخالق : الذي يهيب للقطع ، يفري : يقطع .

٢- المصدر السابق : ١٥٤ . في الذاهبين : في الموتى ، أروم : الأصل

٣- المصدر السابق : ١٥٤ .

٤- المصدر السابق : ١٦٩ . النهكة : النقص والإضرار ، الحقلد : البخيل السيء الخلق .

٥- المصدر السابق : ١٦٩ . فيّاض : يفيض عليهم ، محمد : محمود .

٦- المصدر السابق : ٢١٦ . الضريبة : الخلق ، المنصب : الأصل .

يسط البيوت ، لكي يكون مظنةً من حيث توضع جفنة المسترفد^(١)
حزماً ، وبراً لئله ، وشيمة تعفو على خلق المسيء المفسد^(٢)
ويرى بعض الباحثين إن زهير رأى في صفات هرم بن سنان والحارث بن عوف أكمل صورة
للسيد البدوي ، ((فزهير ذو نوق بدوي ، على خلاف النابغة والأعشى ، وأقرأ له مطولته المسماة
بالمعلقة ، لتجد مصداق ذلك في مدح هرم والحارث حيث نرى أمامنا رجلين يمثلان أكمل صورة
للسيد البدوي))^(٣)

هـ . ضرب الكماة وفكّ أغلال الأسرى والدفاع عن القوم باللسان واليد : وهذه هي صفات
الشجعان المدافعين عن أقوامهم ، يقول زهير :
أليس بضرب الكماة بسيفه وفكك أغلال الأسير المقيد^(٤)
كليث ، أبي شبليين ، يحيي عرينه إذا هو لاقى نجدة لم يعرّد^(٥)
أي هو لا يفر من قتال بل يدافع ، كما يدافع أسد عن شبلييه وعرينه ،

ومدره حرب ، حميها يتقى به شديد الرّجام ، باللسان وباليد^(٦)
والدفاع عن القوم باللسان وباليد ، هو الشرف الذي ما بعده شرف ، ويضيف زهير قائلاً عن
مدوحه أن له خصلتان أختارهما هما: القتال والعطاء :
أبي لأبن سلمى خلتان اصطفاهما قتال إذا يلقي العدو ، ونائل^(٧)
وغزو ، فما ينفك في الأرض طاوياً ثققل أفراس ، به ، ورواحل^(٨)
وحين يمدح زهير هرم بن سنان ، فهو يبغى من وراء ذلك إخاءه ، وإصفاء الودّ له ، لأن
الصفاء هو التبادل وهذا معناه : إن من أصفى لك وده أبتذل لك نفسه :
أحابي به ميتاً ، بنخل ، وأبتغي إخاءك ، بالقول الذي أنا قائل^(٩)
أحابي به ، من لو سئلت مكانه يميني ، ولو لامت عليه العوائل^(١٠)

٧- المصدر السابق : ١٩٨ . يسط البيوت : يكون أوسطها ، المظنة : الموضع الذي يظن فيه الخير ، المسترفد : الذي يسأل الرفد
والمعونة .
٨- المصدر السابق : ١٩٩ . برأ لئله : عابد له ، تعفو : تزيد وتغطي .
٩- صناجة العرب الأعشى الكبير : ٨٧ .
١- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ١٦٨ . واحد الكماة كميّ ، وهو الذي يكمي شجاعته أي يكتمها .
٢- المصدر السابق : ١٦٨ ، عرينه : أجمته ، نجدة : قتال ، يعرّد : يفر .
٣- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ١٦٨ . مدره : فارس القوم الذي يدفع عنهم . حميها : شدتها ، الرّجام : المرامة بالخصومة
والقتال .
٤- المصدر السابق : ٢١٧ . خلتان : خصلتان ، النائل : العطاء .
٥- المصدر السابق : ٢١٧ . ما ينفك في الأرض طاوياً : ما يزال يسير فيها ، الرواحل : الإبل .
٦- المصدر السابق : ٢١٨ . نخل : موضع ، أحابي : أخصه بالثناء .
٧- المصدر السابق : ٢١٨ . العوائل : اللائمون .

لعشنا ذوي أيد ثلاث ، وإنما أل حياة قليل ، والصفاء التبادل^(١) ويمدح زهير ، سنان بن أبي حارثة ، الذي لولاه لظل بعض من قومه أسرى عند مضطهدهم ، انه يمنع الجور يوم الروع ويمن بلا من ولا كدر :
لولا سنان ، ودفع من حموته ما زال منكم أسير عند مقتسر^(٢)
المانع الجور ، يوم الروع ، قد علموا وذو الفضول بلا من ولا كدر^(٣) ويعود ليمدح هرم بن سنان في البيت الآتي :
فتى ، لا يلاقي القرن ، إلا بصدرة إذا أرعشت أحشاء كل جبان^(٤)
انه لا يلاقي من يقاومه في الحرب الا بصدرة ، في وقت ترتعش فيه أحشاء الجبان لتلك الحرب • ويمدح قوم بني ورقاء لصلابتهم في المواجهة ، فيقول :

من سالموا نال الكرامة كلها أو حاربوا ألوى ، مع العشاء^(٥)

٣. كيف تخلص زهير إلى المديح :
لم يبدأ زهير أي قصيدة من قصائده المدحية بغرض المديح مباشرة ، بل كان يتخلص إلى ذلك الغرض ، بعد أن يكون قد خاض في أغراض أخرى ، فمعلقته ، بدأها بالوقوف على الأطلال وبكاء الأحبة :
أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتلّم^(٦)
ولم ينتقل إلى مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف الا في البيت السادس عشر من المعلقة
سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما تنزل ما بين العشيرة بالدم^(٧)
ولم يبدأ زهير قصيدته (٢) من ديوانه ، بمدح هرم بن سنان إلا في البيت السابع عشر من القصيدة :

بل أذكرن خير قيس كلها حسباً وخيرها نائلاً وخيرها خلقاً^(٨)
وكان قبل ذلك قد ذكر (أسماء) وفراقه لها وذكر الركب الذي سار بها، وذكر ناقته والسائق الذي كان خلفها ، والجدول الذي شربت منه تلك الناقة ، والصفادع التي كانت تحبو كحبو الصبيان في ذلك الجدول • وهكذا بالنسبة للقصيدة (٤) من ديوانه فقد بدأها زهير بالوقوف على أطلال (قنة الحجر) ، وهو موضع عند وادي القرى ، ثم قال في البيت الرابع من تلك القصيدة :
دع ذا وعدّ القول في هرم خير الكهول ، وسيدّ الحضر^(٩)
وفعل زهير ذات الشيء في القصيدة (٥) من ديوانه ، إذ كان فيها يتذكر أطلال (سلمى) ، ثم ركب ناقته وأتجه إلى (معشر لم يورث اللؤم جدّهم أصاغرهم) وهم قوم هرم والحارث ، ثم أتجه بعد ذلك إلى هرم والحارث نفسيهما مادحاً :

-
- ٨- المصدر السابق : ٢١٨ •
٩- المصدر السابق : ٢٢٣ • مقتسر : مضطهد •
١٠- المصدر السابق : ٢٢٣ • الجور : الظلم والعدوان •
١١- المصدر السابق : ٢٧٠ • القرن : من يقاومه في الحرب •
١- المصدر السابق : ٢٧٥ • ألوى : ذبل ، العشاء : الشجرة التي جفت أعاليها ودقت أسافلها •
٢- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ١٦ • أم أوفى : زوجة لزهير ، كان قد طلقها ، الدمنة : أثار القوم •
٣- المصدر السابق : ٢٣ • الساعيان : هرم والحارث ، تنزل : تشقق •
٤- المصدر السابق : ٤٦ • الحسب : العمل الصالح ، النائل : العطاء •
٥- المصدر السابق : ٧٧ • عدّ القول : أصرفه إليه ، الحضر : أهل الحضر •

فرحت بما خبّرت عن سيّدكم وكانا امرأين كلّ شأنهما يعلو^(١)
 رأى الله بالأحسان ما فعلا بكم فأبلاهما خير البلاء الذي يبلى^(٢)
 تداركتما الأحلاف ، قد ثلّ عرشها وذبيان قد زلت بأقدامها النعل^(٣)
 وإذا كان زهير قد أفتتح قصيدته (٥) من ديوانه بالبيت الآتي :
 صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو وأقفر من سلمى التعانيق فالتقل^(٤)

فإنه أفتتح قصيدته (٧) من ديوانه بالبيت الآتي :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعري أفراس الصبّا ورواحله^(٥)
 فنكرّر صحو القلب عن سلمى • وقد تكررّ ووقوف زهير على الأطلال في قصائده المدحية (٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٤٨) ، فقد تذكّر آثار أسماء في القصيدتين (٦ و٨) واثار آل ليلي في القصيدتين (١١ و١٢) ، واثار أمّ معبد في القصيدة (١٤) ، واثار سلمى في القصائد (٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٤٨) • أما في القصيدة (٤٩) فقد بدأ زهير بذكر الطعائن والإبل التي سارت في منحرج الوادي • وهكذا ، نرى أن زهيراً وقف على الأطلال وتذكر آثار الأحبة وتكلم معها، في (١٦) قصيدة من قصائده المدحية ، قبل أن ينتقل إلى غرضه الرئيس وهو غرض المديح ، أما في ما تبقى من شعره المدحي ، وهو عبارة عن قصيدة واحدة متألّفة من (٩) أبيات هي القصيدة (٢٧) ، وثلاث قطع شعرية هي (٣٤) وهي تتكون من خمسة أبيات ، و-٣٧- وهي تتكون من أربعة أبيات ، و-٥٢- وهي تتكون من ٤ أبيات أيضاً) ، فقد دخل زهير في غرض المديح مباشرة ، من غير الوقوف على الأطلال والبقاء على الأحبة ، ويبدو أن سبب ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى قلة عدد أبيات القصيدة والقطع الشعرية التي نتحدث عنها • ولا بد من الإشارة إلى أن جميع قصائد زهير المدحية التي بدأها بالوقوف على الأطلال كانت الناقّة حاضرة فيها لأنّها وسيلته في الوصول إلى ممدوحه ، وكان زهير يذكر صفات تلك الناقّة ، ويذكر ما يراه في طريقه ، ويصف التعب الذي ينهكه قبل الوصول إلى الممدوح ، وكمثال على ذلك ، يقول زهير :

وهمّ قد نفيت بأرحبيّ هجان اللون ، من سر هجان^(٦)
 شديد الأسر ، أغلب ، دوسريّ زروف الرّجل مطّرد الجران^(٧)
 فزادك أنعماً وخلالك ذمّ إذا أدنيت رحلي من سنان^(٨)

ويقول زهير :

٦- المصدر السابق : ٩١ •
 ٧- المصدر السابق : ٩١ رأى الله بالإحسان ما فعلا بكم : رأى الله إحسان فعلهما بكم •
 ٨- المصدر السابق : ٩١ . الأحلاف ، غطفان وعيس ، ثلّ عرشها : هدم •
 ٩- المصدر السابق : ٨٣ • التعانيق : أرض ، الثقل : واد •
 ١- المصدر السابق : ١٠١ . رواحله : أبله •
 ٢- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٢٦٤ • الهم : الحزن ، الأرحبي : البعير النجيب ، الهجان : الأبيض
 ٣- المصدر السابق : ٢٦٤ • الأسر : الخلق والبناء ، الأغلب : الغليظ العنق ، الجران : باطن العنق •
 ٤- المصدر السابق : ٢٦٥ • الخطاب للجمل •

دعها ، وسلّ الهَمّ عنك بجسرة تتجو نجاء الأخردي المفرد^(١)
والجسرة : هي الناقة الجسور على السفر ، ويقول :
فلما رأيت أنّها لا تجيني نهضت إلى وحناء كالفحل ، جلعد^(٢)
جمالية ، لم يبق سيرتي ورحلتي على ظهرها من نيتها غير محفد^(٣)
فحضور الناقة في قصائد زهير المدحية كان جزءاً من (المشهد المدحي) إن صحّ التعبير ،
وكان ذلك الحضور طبيعياً ، أي لم يكن مفتعلاً أو مفروضاً .

٤. عدم وجود الشكوى في شعر زهير المدحي :
كانت (الشكوى) منعدمة في شعر زهير المدحي ، وزهير ، في هذا ، يختلف عن الكثيرين
من شعراء المديح الذين كانوا يتقلون أشعارهم المدحية بالشكوى .
٥. عدم وجود الاعتذار :

جاء شعر زهير المدحي خالياً من الاعتذار ، الذي كان يبرز في بعض الأشعار المدحية
للعديد من الشعراء ، ومنهم النابغة الذبياني^(٤) .
٦. عدم وجود الهجاء :

كان بعض الشعراء يعمدون ، وهم يمدحون الممدوح ، إلى هجاء الآخرين ((الكي
يظهر ممدوحه جديراً بالثناء وحده دون الناس ، ولكأنما هو يريد أن يبرز محاسنه من خلال
عيوبهم))^(٥) ، ولم يكن ذلك الهجاء موجوداً في شعر زهير المدحي .

٧. عدم وجود مدح النفس إلى جانب مدح الممدوح :
يمكن القول إن زهيراً لم يمدح نفسه ، وهو يمدح ممدوحيه ، كما كان يفعل المتنبّي أو
الأعشى ، ولا يجد الباحث الا بيتين يتيمين في هذا الاتجاه ، قالهما زهير وهو يمدح سنان بن أبي
حارثة ، وهما :

وإني في الحروب إذا تلظت أجبب المستغيث إذا دعاني^(٦)
وجاري ليس يخشى أن أرني حليلته ، بسر أو علان^(٧)

٨. عدم السؤال بالشعر المدحي :

لم يسأل زهير بشعره المدحي ، أي هو لم يطلب حاجة ، كما كان يفعل النابغة الذبياني ، أو
الأعشى ، أو الحطيئة ، والباحث سيجد ثلاثة أبيات لزهير يذكر فيها إن ماله إذا جرفته الجوارف ،
فسيقوم هرم بن سنان بسد حاجته وحاجة غيره ، يقول زهير :
إذا جرفت مالي الجوارف مرةً تضمّن رسلاً حاجتي ابن سنان^(٨)

٥- المصدر السابق : ١٩٥ ، الأخردي : نسبة إلى أخطر وهو فرس ضرب في الحمر ، تتجو : تسرع .

٦- المصدر السابق : ١٦١ ، وحناء : ناقة ضخمة الوجنت ، جلعد : شديدة .

٧- المصدر السابق : ١٦١ ، جمالية : خلقتها كخلقة الجمل ، نيتها : شحمها ، محفد : أصل الستام .

١- دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي : ٢٠٦ .

٢- صناجة العرب الأعشى الكبير : ٨٥ .

٣- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٢٦٤ ، تلظت : توقدت وأشدت ليهيها .

٤- المصدر السابق : ٢٦٤ ، أرني : أديم النظر إليها ، الحليلة : الزوج .

٥- المصدر السابق : ٢٦٩ ، الجوارف : التي تجرف الأموال أي تذهب بها ، رسلاً : على هيئته .

وحاجة غيري ، أنه ذو موارد و ذو مصدر من نائل وبيان^(١)
يسنّ لقومي ، في عطائي ، سنّة فإن قومي اعتلوا عليّ كفاني^(٢)
ومما تقدّم ، نرى إن شعر زهير المدحي ، لم يكن شعراً وحسب ، وإنما كان شهادة له عن
حبه للخير والسلام وتقديره لرجال الإصلاح وإعادة السيوف إلى أعمادها ، واعتزازه بمواقفهم
المشرفة التي منها فكّ أغلال الأسرى وإغاثة نوي الحاجات وإعانة الأرامل ، ورعاية اليتامى ،
وتقييمه العالي لصفاتهم الإنسانية المتميزة والتي منها الكرم والصدق والنقاء والأمانة وحفظ العهد
• إن شعر زهير المدحي ، رسالة محبة وتقدير ، خلّدتها كلمات بليغة ونقلتها ألينا عبر عصور
زمنية متلاحقة ، ولم تستطع يد الزمن حجزها عنّا ، فالخلود عرف طريقه إلى ذلك الشعر ،
فعرف ذلك الشعر طريقه إلينا •

ثانياً: التكبّب والمبالغة

أثار شعر زهير بن أبي سلمى المدحي ، موضوعين مهمّين ، هما :

١. المبالغة في المدح •
٢. التكبّب بالشعر •

وقد اختلف النقاد ، وهم يدرسون شعر زهير ، في تلكما الموضوعين ، ولأهميتهما سنقوم
بدراستهما من كافة الوجوه •

١. المبالغة في المدح

صحيح أن زهيراً في شعره المدحي ، كان (لا يزعم أبداً إن ممدوحه فعل المعجزات وصنع
المستحيلات ، ونالت قدرته السموات ، كما يزعم المحدثون من الشعراء)^(٣) ، ألا أن إثارة موضوع
موضوع المبالغة لديه ، بحاجة إلى تمحيص وتحقيق ودقة نظر ، وقد لفت هذا الموضوع أنظار
النقاد إليه ، وحين أدلى الدكتور طه حسين بدلوه وهو يدرس شعر زهير المدحي ، توصل إلى إن
زهيراً ((حتى حين يريد أن يغلو ويلح في المدح ، فهو مهما يغلّ ، يكره الإحالة ، وينفر من أن
يقول غير الحق))^(٤) ، وقد ((عرف عن زهير الصدق والبعد عن المبالغة))^(٥) . وقال الدكتور
شوقي ضيف ، أن زهيراً ((كان يحرص على الاقتصاد في القول ، فلا يسرف ولا يغلو ، فهو
يعتدل في الثناء ، وإذا أحسّ إزاء صفة من الصفات أو معنى من المعاني بأنه يكاد يخرج عن حدة
أحاطه بما يجعل قوله مقبولاً ، فيقدّم لفظة (لو) ونحوها حتى لا يتجاوز القصد ، كما نرى في قوله
، يصف هرمأ وأمجاهه :

لو نال حيّ من الدنيا بمكرمة أفق السّماء لنالت كفه الأفقا^(٦)

وقوله :

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنير لليلة البدر^(٧)

٦- المصدر السابق : ٢٧٠ • بيان : بلاغة ، يريد : يرد عليه قوم ويصدر عنه قوم •
٧- المصدر السابق : ٢٧٠ • أي : إن لم يعطني أحد أعطاني •
١- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ١٢ •
٢- المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين ، المجلد الثاني ، ص ١١٤ •
٣- تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ٢/ ٢٧٣ •
٤- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٥١ •
٥- المصدر السابق : ٨٢ •

فهو لا يطلق القول في مثل هذين المعنيين إطلاقاً ، بل يجعلهما في حيز (لو) حتى يخرج من باب المبالغة الذي أوشك على الدخول فيه^(١) ويرى الدكتور أحمد طلعة ، أن زهيراً ((كان إذا بالغ في أداء المعنى ، أختار طريق المبالغة المقبولة))^(٢) ويمكن القول ، إجمالاً ، أن شعر زهير المدحي كان على نوعين :

١. الشعر الذي ليس فيه مبالغة ، وذلك الشعر عمد زهير فيه إلى الإشادة بصفات الممدوحين من كرم وشجاعة وإغاثة للملهوف وإعانة للمحتاج وصنع للجميل وفكّ لأغلال الأسير وغيرها من الصفات الحميدة ، وهو أغلب شعره الذي قاله في غرض الحميد .
٢. الشعر الذي فيه مبالغة ، وذلك الشعر لم يكن واسع الحضور في شعر زهير المدحي ، ويمكن تحديده ببساطة ، وهو مقتصر على شعر المديح الذي ورد في القصيدتين (٢٢ و٢٤) من ديوانه ، مع ثلاثة أبيات من القصيدة (٢) وبيت واحد من القصيدة (٢٩) ، وتفصيل ذلك هي كما يأتي :

أ- القصيدة (٤) : وهي متألّفة من (٢٣) بيتاً شعرياً ، قيلت في مدح هرم بن سنان ، ويبلغ عدد الأبيات المدحية فيها (٢٠) بيتاً ، وأبرز ما جاء فيها البيتان الآتيان :

دع ذا وعدّ القول في هرم خير الكهول وسيّد الحضر^(٣)
لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنير لليلة البدر^(٤)

وجاء في كتاب الأغاني ، حول هذه القصيدة : ((أنشد الخليفة عمر بن الخطاب قول زهير في هرم بن سنان يمدحه :

دع ذا وعدّ القول في هرم خير الكهول وسيّد الحضر

حتى قوله :

السّتر دون الفاحشات ، وما يلقاك ، دون الخير ، من ستر^(٥)
فقال عمر : ذلك رسول الله ﷺ^(٦) ، وقول عمر بن الخطاب ﷺ ، هذا ، دلالة أكيدة على على مبالغة زهير في مدح هرم بن سنان ، لأنه قال فيه كلاماً ما كان ينبغي أن يقال الا في رسول الله ﷺ .

ب. القصيدة (٢٢) : وهي متألّفة من (٣٢) بيتاً شعرياً ، قيلت في مدح قوم بني سنان ، ويبلغ عدد الأبيات المدحية فيها (١٥) بيتاً شعرياً ، وأبرز ما جاء في تلك القصيدة الأبيات الآتية التي يبلغ عددها (١١) بيتاً شعرياً :

- أقول للقوم ، والأنفاس قد بلغت دون اللها ، غير أن لم ينقص العدد^(٧)
سيروا إلى خير قيس كلّها حسباً ومنتهى من يريد المجد أو يفد^(٨)
رحب الفناء ، لو أن الناس كلهم حلوا إليه ، إلى أن ينقضي الأبد^(٩)
ما زال في سيبه سجل يعمهم ما دام في الأرض من أوتادها وتد^(١٠)

٦- تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي : ٣١٣ .

٧- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ١٢ .

١- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٧٧ .

٢- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٨٢ .

٣- المصدر السابق : ٨٢ .

٤- الأغاني : ٣٠٤ / ١٠ .

٥- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٢٠٣ . الأنفاس : النفوس ، اللها : جمع لهاة وهي اللحم المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم

٦- المصدر السابق : ٢٠٣ . قيس : قيس عيلان .

٧- المصدر السابق : ٢٠٣ .

في الناس للناس أنداد، وليس له فيهم شبيهه، ولا عدل ولا ندد^(٢)
 قوم أبوهم سنان، حين أنسبهم طابوا، وطاب من الأولاد ما ولدوا^(٣)
 لو كان يقعد فوق الشمس من أحد قوم بأولهم أو مجدهم، قعدوا^(٤)
 أو كان يخلد أقوام بمكرمة أو ما تسلف من أيامهم خلدوا^(٥)
 جنّ إذا فزعوا، إنس إذا أمنوا مرزؤون ، بهاليل، إذا جهدوا^(٦)
 محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله منهم ماله حسدوا^(٧)
 لو يوزنون عياراً ، أو مكايلة مالوا برضوى، ولم يعدلهم أحد^(٨)

وجاء في ديوان زهير بن أبي سلمى الذي اعتمدهنا في بحثنا هذا وهو (شرح شعر زهير بن أبي سلمى) الذي كان من (صنعة أبي العباس ثعلب) عن هذه القصيدة ، ما يأتي : ((قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعبد الله بن عباس من كان أشعر العرب يا ابن عباس ؟ ، قال ذلك زهير بن أبي سلمى المزني ، فقال عمر : هلا تشدنا من شعره أبياتاً نستدل بها على قولك فيه، فقال : نعم ، مدح قوماً من غطفان يقال لهم بنو سنان ، فقال :

هل في تذكر أيام الصبّا فند ؟ أم هل لما فات من أيامه ردد^(٩)

وقرأ القصيدة (٢٢) التي نتحدث عنها الآن ، حتى نهايتها ، فجثا عمر على ركبتيه ، ثم قال : ما لهذا الشاعر ، قاتله الله ! لقد قال كلاماً ، ما كان ينبغي أن يقال إلا في أهل رسول الله لما خصّهم الله به من النبوة والكرامة^(١٠) . وكلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا ، يدل دون أدنى شك على مبالغة زهير في المدح لأنه قال في قوم بني سنان كلاماً لا ينبغي أن يقال إلا في أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيما عدا القصيدتين اللتين أشرنا إليهما ، هناك الأبيات الثلاثة الآتية من القصيدة (٢) التي مدح بها زهير ، هرم بن سنان :

بل اذكرن خير قيس كلّها حسباً وخيرها نائلاً وخيرها خلقاً^(١١)
 وذلك أحزمهم رأياً ، إذا نبأ من الحوادث آب الناس أو طرقا^(١٢)
 لو نال حيّ من الدنيا بمكرمة أفق السماء لئالت كفه الأفقا^(١٣)

٨- المصدر السابق : ٢٠٣ . السيب : العطاء ، السجل : الدلو العظيمة مملوءة ماءً .

١- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٢٠٣ . العدل : المثل ، الندد : الندد .

٢- المصدر السابق : ٢٠٤ .

٣- المصدر السابق : ٢٠٤ .

٤- المصدر السابق : ٢٠٤ . تسلف : تقدم .

٥- المصدر السابق : ٢٠٤ . بهاليل : جمع بهلول وهو السيد الجواد الكريم ، جهد : أصابه القحط والجهد .

٦- المصدر السابق : ٢٠٤ . معنى ((لا ينزع)) النفي والدعاء .

٧- المصدر السابق : ٢٠٤ . رضوى : جبل بين المدينة وينبع ، أحد : جبل مشهور .

٨- المصدر السابق : ٢٠١ . الصبّا : اللهو من الغزل ، الفند : الخطأ ، الردد : جمع ردة وهو الارتجاع .

٩- الأغاني : ٣٠٤/١٠ .

١٠- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٤٦ . الحسب : العمل الصالح ، النائل : العطاء .

١١- المصدر السابق : ٤٦ .

١٢- المصدر السابق : ٥١ .

قوماً ترى عزهم والفخر إن فخرُوا في بيت مكرمة ، قد لَزَّ بالقمر^(١)
والآن ، لو عدنا إلى شعر زهير الذي وجدنا فيه (المبالغة) ، لوجدنا إنه جاء على نوعين :
أ- الشعر الذي جاءت فيه الأوصاف على وجه الإطلاق ، ولو حدّدناه لوجدنا انه يتكون من
خمسة أبيات لا غيرها وهي :

بل أذكرن خير قيس كلّها حسباً
دع ذا وعدّ القول في هرم
سيروا الى خير قيس كلّها حسباً
في الناس للناس أنداد وليس له
محسدون على ما كان من نعم
لا ينزع الله منهم ما له حسدوا^(٢)
وخيرها نائلاً وخيرها خلقاً^(٣)
خير الكهول وسيدّ الحضر^(٤)
ومنتهى من يريد المجد أو يفد^(٥)
فيهم شبيه ولا عدل ولا ندد^(٥)
ب- الشعر الذي جاءت فيه الأوصاف باستخدام (لو) ، أو العطف على (لو) بحرف العطف
(أو) ، أو باستخدام (إذا) أو (إن) ، واستخدام زهير لـ (لو) أو (إذا) أو (إن) ، جاء ، كما
قال الدكتور شوقي ضيف ، ((حتى لا يتجاوز القصد))^(٧) ، ولو حدّدنا هذا الشعر لوجدنا
لوجدنا أنه يتكون من عشرة أبيات هي :

لو نال حيّ من الدنيا بمكرمة
لو كنت من شيء سوى بشر
رحب الفضاء لو أن الناس كلهم
ما زال في سببه سجل يعمهم
لو كان يقعد فوق الشمس من أحد
أو كان يخلد أقوام بمكرمة
لو يوزنون عياراً ، أو مكابلة
أفق السماء لنالت كفه الأفقا^(٨)
كنت المنير لليلة البدر^(٩)
حلوا إليه إلى أن ينقضي الأبد^(١٠)
ما دام في الأرض من أوتادها وتد^(١١)
قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا^(١٢)
أو ما تسلف من أيامهم خلدوا^(١٣)
مالوا برضوى ولم يعدلهم أحد^(١٤)

١-شرح شعر زهير بن ابي سلمى :٢٣٢.

٢- المصدر السابق :٤٦ .

٣- المصدر السابق : ٧٧ .

٤- المصدر السابق : ٢٠٣ .

٥- المصدر السابق : ٢٠٣ .

٦- المصدر السابق : ٢٠٤ .

٧- تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي : ٣١٣ .

٨- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٥١ .

٩- المصدر السابق : ٨٢ .

١٠- المصدر السابق : ٢٠٣ .

١١- المصدر السابق : ٢٠٣ .

١٢- المصدر السابق : ٢٠٤ .

١٣- المصدر السابق : ٢٠٤ .

١٤- المصدر السابق : ٢٠٤ .

جن إذا فزعوا ، إنس إذا أمنوا مرزؤون ، بهاليل ، إذا جهدوا^(١)

وذلك أحزمهم رأياً إذا نبأ من الحوادث آب الناس أو طرقاً^(٢)
قوماً، ترى عزهم والفخر إن فخرُوا في بيت مكرمة ، قد لَزَّ بالقمر^(٣)
وهذه هي المبالغة في شعر زهير .

٢. التكبُّب بالشعر

اختلفت الآراء في موضوع تكبُّب زهير بشعره المدحي، فهناك من يرى أنه تكبُّب بشعره ، وهناك من يرى انه لم يتكبُّب ، وهناك فريق ثالث يرى أن زهيراً تكسب بشعره يسيراً . وقد رأى الدكتور طه حسين ، وهو يتحدث عن زهير وشعره المدحي ، ((انه كان يتكسب بهذا الشعر ، وكان يفيد عنه مالا كثيراً))^(٤) ، وفي مقابل هذا الرأي جاء في كتاب (تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ج ٢) ((إن الشاعر- زهيراً- ما كان مداحاً محترفاً يتكسب بشعره ، بل كان يمدح من ينال إعجابه من سادة قبيلته وزعمائها ولا يتعداهم))^(٥) . وعلى خلاف الرأيين السالفين ، جاء في (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) ما نصّه : ((تكبُّب زهير يسيراً مع هرم بن سنان))^(٦) وتشير الوقائع إن زهيراً قد كسب الكثير من العطايا والهدايا والهبات بسبب قصائده المدحية التي قالها ، وقد يمدح هرماً ويمجِّده وهرم يغدق عليه))^(٧) ، ولكنه لم يكن يمدح هرماً انتظاراً لجائزة ، وكذلك وكذلك لم يكن يمدح هرماً والحارث أملاً في هدية ، إذ ((ان زهيراً لم يكن هدفه جمع المال من هذين السيدين ، وانما الإشادة بفضل من حقن الدماء وردَّ السيوف إلى أغمادها ونشر السلام بين قومه، وأحتمل من حرّ ماله ما عليهم من ديّات))^(٨) ، وزهير بن أبي سلمى ((كان مخلصاً في هذا المديح ، يسعى وراء المعروف والفضل ، فيشيد بهما))^(٩) نعم ، لقد كسب زهير بشعره المدحي ، الكثير من العطايا ، ولكنه لم يكن يتكسب بذلك الشعر ، وهو في ذلك يختلف عن الشعراء الذين كتبوا شعر التكبُّب ، ((وقد اشتهر في هذا اللون النابغة الذبياني بمدائحه للنعمان بن المنذر ، وحسان بن ثابت بمدائحه للغساسنة ، والأعشى الكبير الذي طاف بالأرجاء متكسباً لا يوقف فنه على أحد))^(١٠) و ((يعد النابغة الذبياني إمام الشعراء المتكسبين جميعاً ، فهو الذي فتح الطريق لمن جاء بعده من الشعراء المتكسبين كالأعشى والحطيئة))^(١١) ، و ((يكاد المؤرخون القدامى يجمعون على كون الأعشى أول

١٥- المصدر السابق : ٢٠٤ .

١- شرح شعر زهير بن ابي سلمى : ٤٦ .

٢- المصدر السابق : ٢٣٢ .

٣- المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين ، المجلد الثاني ، ص ٩٤ .

٤- تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ٢ / ٢٧٩ .

٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٨٠ ، لأبن رشيق القيرواني .

٦- الأغاني : ٣٠٥ / ١٠ .

٧- دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي : ١٩٩ .

٨- المديح : ٤٥ .

٩- دراسات في الأدب الجاهلي : ١٨٠ .

١٠- دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي : ٢٠٢ .

من سأل بشعره))^(١) . والقول بأن زهيراً لم يتكسب بشعره ولم يسأل به ، تدعمه الكثير من الأدلة والعلامات والدلائل ، والتي من أبرزها ما يأتي :

١. إن زهيراً ((كان في الجاهلية سيداً كثير المال))^(٢) ، فلم يكن ينقصه المال لكي يسأل يسأل بشعره أو يتكسب به .

٢. إن زهيراً ورث جزءاً من مال خاله بشامة بن الغدير الذي لم يكن له ولد ، وكان بشامة ذا مال كثير ، ((وكان ممن فقاً عين بعير في الجاهلية ، وكان الرجل إذا ملك ألف بعير ، فقاً عين فحلها))^(٣) ، و((تدل الدلائل على أن زهيراً عاش في سعة من المال مما ورثه عن خاله ومما كان يقدم له من هرم وغيره))^(٤)

٣. يروى إن هرمأ ((حلف أن لا يمدحه زهير الا أعطاه ، ولا يسأله الا أعطاه ، ولا يسلم عليه الا أعطاه : عبداً أو وليدة أو فرساً ، فاستحيا زهير مما كان يقبل منه ، فكان إذا رآه في ملاً قال : عموا صباحاً غير هرم ، وخيركم استثنيت))^(٥) . ولو قلبنا هذه الرواية على وجوهها ، لوجدنا أن هرمأ حلف أن يعطي زهيراً إذا مدحه أو سأله أو سلم عليه ، ولكن زهيراً لم يسلم عليه ، كما أخبرتنا الرواية ذاتها ، وزهيراً لم يسأل هرمأ ، وذلك واضح في شعره الذي بين أيدينا ، ولم يبق سوى وجه واحد وهو أن يمدح زهير هرمأ فيعطي هرم زهيراً ، وهذا هو ما كان يحصل وليس غيره . ولو احتكنا إلى شعر زهير ، لوجدنا أن زهيراً لم يسأل هرمأ أو غيره ، في كل شعره ، وقد قال مرة أن الجوارف إذا جرفت ماله فسوف (يتضمّن ابن سنان ، رسلاً ، حاجته) :

إذا جرفت مالي الجوارف مرة تضمّن ، رسلاً ، حاجتي أين سنان ^(٦)

وحاجة غيري ، إنه ذو موارد وذو مصدر ، من نائل ، وبيان ^(٧)

يسنّ لقومي في عطائي سئة فإن قومي اعتلوا عليّ كفاني ^(٨)

وهذه الأبيات تبين أن لزهير مالاً ، ومن عنده المال لا يسأل ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، كان زهير يهدي ثنائه ومدحه ولا يبيعه ، فهو يقول :

وإني لمهد من ثناء ومدحة إلى ماجد تبغى إليه الفواضل ^(٩)

١- صناجة العرب الأعشى الكبير : ٧٣ .

٢- الأغاني : ٣٠٩ / ١٠ .

٣- طبقات فحول الشعراء : ٥٦٣ .

٤- تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي : ٣٠٣ .

٥- الأغاني : ٣٠٥ / ١٠ .

٦- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٢٦٩ .

٧- المصدر السابق : ٢٧٠ .

٨- المصدر السابق : ٢٧٠ .

٩- المصدر السابق : ٢١٦ . تبغى : تطلب ، الفواضل : الصنائع الجميلة .

وكان يبتغي بقوله - أي شعره - إخاء ممدوحه (وهو هرم) ، وإنه مستعد للتضحية بإحدى يديه من أجله لو طلب منه ذلك ، ليعيش هو وممدوحه معاً بأيد ثلاث ، فالتبادل في الحياة القليلة هو الصفاء •

أحابي به ميتاً ، بنخل ، وأبتغي إخاءك بالقول الذي أنا قائل^(١)
أحابي به من لو سئلت مكانه يميني، ولو لامت عليه العواذل^(٢)

لعشنا ذوي أيد ثلاث وانما الـ حياة قليل والصفاء التبادل^(٣)
ونفهم من شعر زهير المدحي ، ان زهيراً ، لا يمدح إلا بما يعلم ، وبما يشهد ، وحين يقول لا يقول هذراً :

أثني عليك بما علمت وما أسلفت في النجّات والذّكر^(٤)
إني شهدت كراماً ، من موطنه ليست بغيب ولا تقوال ذي هذر^(٥)
ولا بد من المرور على بيت زهير الذي يقول فيه :

فلو كان حمد يخلد الناس لم يمت ولكن حمد الناس ليس بمخلد^(٦)
والمقصود بهذا البيت هو هرم بن سنان ، وقد صدق زهير ، فهرم لم يخلد في الدنيا أي لم يطل عمره فيها ، بل مات ولم ينفعه في إطالة عمره ذلك الحمد ، ولكن ذكره من بعد موته ظلّ مستمراً في الدنيا بسبب ذلك الحمد •

المبحث الثالث

-
- ١- المصدر السابق : ٢١٨ • الميت : هو سنان ، والذي يبغى إخاءه هو هرم •
 - ٢- المصدر السابق : ٢١٨ • العواذل : اللوام •
 - ٣- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٢١٨ •
 - ٤- المصدر السابق : ٨٢ •
 - ٥- المصدر السابق : ٢٣٣ •
 - ٦- المصدر السابق : ١٧٠ •

الخصائص الفنية لشعر زهير في غرض المدح عرف عن زهير بن أبي سلمى، أنه كان ((من الشعراء الذين أطلق عليهم الأصمعي اسم : عبيد الشعر))^(١)، وأشتهر بحوليياته ، وهو من أولئك الشعراء الذين قال عنهم الجاحظ ((ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريماً ، وزمناً طويلاً ، يردّد فيها نظره ، ويجعل فيها عقله ، ويقلب فيها رأيه ، اتهاماً لعقله وتتبعاً على نفسه ، فيجعل عقله زماماً على رأيه ، ورأيه عياراً على شعره ، إشفاقاً على أدبه وإحرازاً لما خوله الله من نعمته ، وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات ، ليصير قائلها فحلاً خنذيلاً وشاعراً مقلقاً))^(٢) . وقد ((أطلق على هؤلاء الشعراء اسم مدرسة))^(٣) ، و ((يقوم العمل الفني عند شعراء هذه المدرسة على عنصرين بلاغيين : الأول الاحتقال بالصورة المتقدمة من صور التشبيه والتي تقوم على التشبيه التمثيلي ، والاستعارة بنوعيهما المكنية والتصريحية))^(٤) ولو تلمسنا الخصائص الفنية الفنية في شعر زهير المدحي ، لبرزت أمامنا الكثير من الخصائص التي عني بها زهير وأجاد في استخدامها ، وأبرزها :

١. استخدام المحسنات البديعية بنوعيتها :

المحسنات المعنوية ، وهي المحسنات التي ((تدخل في التحسين المعنوي وتزيين الكلام من حيث مضمونه))^(٥) ، والمحسنات اللفظية ، وهي المحسنات التي ((جعلوها خاصة بالمسموع من ظواهر الألفاظ وأجراسها))^(٦) . وقد استخدم زهير في شعره المدحي الكثير من هذه المحسنات ، ونشير فيما يأتي إلى أبرزها :

أ. الطباق :

وهو من المحسنات المعنوية ، وهو ((الجمع بين الضدين في كلام أوبيت شعر))^(٧) ، وقد جاء الطباق في شعر زهير المدحي كثيراً ، ومن أمثلة ذلك ، قول زهير :

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطيء يعمر فيهم^(٨)

جاء الطباق بين (تصب) و(تخطيء) أولاً ، وبين (تمته) و(يعمر) ثانياً .

وقد كنت من سلمى سنيماً ثمانياً على صير أمر ما يمر وما يحلو^(٩)

جاء الطباق بين (يمر) و(يحلو) .

إن البخيل ملوم حيث كان ولـ كن الجواد على علاقته هرم^(١٠)

- ١- البيان والتبيين ١٣/٢ .
- ٢- المصدر السابق ٩/٢ .
- ٣- دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي : ٢٨٤ .
- ٤- المصدر السابق : ٢٨٦ .
- ٥- البلاغة والتطبيق : ٤٢٥ .
- ٦- البلاغة والتطبيق : ٤٢٥ .
- ٧- المصدر السابق : ٤٣٨ ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ٣٦٦ .
- ٨- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٣٤ . عشواء : على غير بصر .
- ٩- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٨٣ . صير أمر : منتهاه وصيرورته .
- ١- المصدر السابق : ١١٩ . على علاقته : على عسره ويسره .

- جاء الطبايق بين (البخيل) و(الجواد)
- من سالموا نال الكرامة كلها أو حاربوا الوى مع العشاء^(١)
- جاء الطبايق بين (سالموا) و(حاربوا)
- فضل قصيراً على صحبه وظلّ على القوم يوماً طويلاً^(٢)
- جاء الطبايق بين (قصيرا) و(طويلا)
- ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ما الليث كدّب عن أقرانه صدقا^(٣)

ب. الجناس :

وهو من المحسنات اللفظية ، ويعني ((تشابه بين لفظين في النطق واختلافهما في المعنى))^(٤) ، وجاء الجناس في شعر زهير المدحي بنوعيه ، وهما :

أولاً الجناس التام :

((وهو أن تتفق الألفاظ في أربعة أمور هي : أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها))^(٥) ، ومما جاء في شعر زهير المدحي من الجناس التام ما يأتي :

رعوا ما رعوا من ظمئهم ثم أوردوا غماراً تقرى بالسلاح والدم^(٦)

عفا عام حلت صيفه وربيعه وعام وعام يتبع العام قابل^(٧)
وقد تكررت كلمة (عام) أربع مرات وهو أمر مثير للانتباه .
ولنعم كافي من كفيت ومن تحمل له تحمل على ظهر^(٨)

ثانياً الجناس غير التام :

((وهو أن يختلف اللفظان في أمر واحد من الأمور التي بنت الجناس التام ويتقفا في سائرهما))^(٩) ، وجاء هذا الجناس على عدة أنواع :

١. الجناس المحرّف :

وهو ((اختلاف اللفظتين في الهيئة))^(١٠) ، ومنه قول زهير :

هو الجواد الذي يعطيك نائله عفواً ويظلم أحياناً فيظلم^(١١)
ومن يغترب يحسب عدواً صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم^(١٢)

٢. الجناس الناقص بزيادة حرف أو أكثر : مثل قول زهير :

كفضل جواد الخيل ، يسبق عفوه الـ سراع ، وان يجهدن يجهد ويبعد^(١٣)

٢- المصدر السابق : ٢٧٥ . الوى : دبل ، العشاء : الشجرة جقت أعاليها ودقت أسافلها .

٣- المصدر السابق : ١٥١ . أي : ظلّ قصيراً على الغالين وطويلاً على المغلوبين .

٤- المصدر السابق : ٥٠ . يعثر : أي في بلد في اليمن .

٥- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ٣٩٦ .

٦- البلاغة والتطبيق : ٤٥١ .

٧- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٣١ . غمار : جمع غمر وهو الماء الكثير ، الظم : ما بين الشربتين .

٨- المصدر السابق : ٢١٣ . حلت : نزلت .

٩- المصدر السابق : ٧٩ .

١٠- البلاغة والتطبيق : ٤٥١ .

١١- المصدر السابق : ٤٥١ .

١٢- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ١١٩ . النائل العطاء ، عفواً : سهلاً . يظلم : يحتمل الظلم .

١٣- المصدر السابق : ٣٦ .

١- المصدر السابق : ١٦٩ . السراع : جمع سريع ، يجهد : يحمل نفسه على الجهد .

لهم هوى من هوانا ، ما يقربنا ماتت على قربه الأحشاء والكبد^(١)
وان قام منهم قائم قال قاعد رشدت ، فلا غرم عليك ولا خذل^(٢)
٣. الجنس الناقص ، الذي فيه اختلاف في أنواع الحروف : مثل قول زهير
تقي نقي ، لم يكثر غنيمة بنهكة ذي قربي ، ولا بحقلد^(٣)
وقد استخدم زهير ، الجنس ، بمعناه الواسع ، استخداماً كثيراً في شعره المدحي ، ومن أمثلة ذلك الأبيات الآتية :

بكرن بكوراً واستحرن بسحرة فهن ووادي الرس كاليد في الفم^(٤)
ان الخليط اجد البين فأفرقا وعلق القلب من أسماء ما علقا^(٥)
يغادر القرن مصفراً أنامله يميل في الرمح ميل المائح الأسن^(٦)
فبتنا عراة عند رأس جوادنا يزاولنا عن نفسه ونزاوله^(٧)
كأن عيني وقد سال السليل بهم وعبرة ما هم لو أنهم أمم^(٨)
وقد قلتما ان ندرك السلم واسعاً بمال ومعروف من الأمر نسلم^(٩)
وقد أختار الدكتور شوقي البيهقي الأخيرين كمثال على التجنيس الذي جاء في شعر زهير^(١٠)

١. التصوير :

((كان زهير صاحب فن وتجويد))^(١١) كما يقول الدكتور طه حسين ، وكانت الصور التي أبدعها زهير في شعره المدحي دلالة بارزة على ذلك الفن وذلك التجويد ، ويقول الدكتور شوقي ضيف ((لا نغلو إذا قلنا أن زهيراً كان شاعراً مصوراً ، فالتصوير أساس فنه ، وكأنما تحول عقله إلى آلة لاقطة ، وهي ليست آلة فوتوغرافية ، بل هي آلة خالقة ، آلة تفكر في الأشياء من أشياء أخرى فتعقد ما لا يحصى من مشابهاة ومشاكلات))^(١٢) . ولقد قام التصوير لدى زهير في شعره المدحي على التشبيه والاستعارة:
أ. التشبيه : وهو ((عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر ، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر ، بأداة ، لغرض يقصده المتكلم))^(١٣) وقد أكثر زهير من استخدام التشبيهات في شعره

-
- ٢- المصدر السابق : ٢٠٢ .
 - ٣- المصدر السابق : ٩٤ .
 - ٤- المصدر السابق : ١٦٩ . نهكة : النقص والأضرار ، الحقلد : البخيل السيء الخلق .
 - ٥- المصدر السابق : ٢٠ . يقول : دخلن الوادي كدخول اليد في الفم .
 - ٦- المصدر السابق : ٣٨ . الخليط : المخالط لهم في الدار ، أنفرق : انقطع .
 - ٧- المصدر السابق : ٩٩ . مصفراً أنامله : دنا موته فأصفرت أصابعه ، الأسن : الذي يغشى عليه من ينزل إلى اسفل البئر ليملاً الدلو إذا قل الماء .
 - ٨- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ١٠٧ . يزاولنا ونزاوله : يعالجنا ونعالجه .
 - ٩- المصدر السابق : ١١٧ . سال السليل : ساروا فيه سيراً سريعاً ، الأمم : بين القريب والبعيد .
 - ١٠- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٢٤ . السلم : الصلح ، المعروف : الحسن .
 - ١١- تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي : ٣٢٨ .
 - ١٢- المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين ، المجلد الثاني ، ص ٨٨ .
 - ١٣- تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي : ٣٣١ .
 - ١- البلاغة والتطبيق : ٢٦٦ .

المدحي ، ((حتى يكاد بعضها أن يركب بعضاً))^(١) ، ولو بحثنا في تشبيهات زهير في شعره المدحي ، لتكونت لدينا الخصائص الآتية :
 أولاً . أدوات التشبيه المستخدمة : استخدم زهير بشكل كثير حرفي التشبيه (الكاف) و(كأن) ، وهذه أمثلة لذلك :

ديار لها بالرقمتين كأنها	مراجع وشم في نواشر معصم ^(٢)
تراه إذا ما جنَّته متهللاً	كأنك تعطيه الذي أنت سائل ^(٣)
كأن دماء المؤسّدات بنحراها	أطبة صرف في قضيم مصرّد ^(٤)
كأن جسيمات القعاند حوله	من الخيل كمت قربت لرهان ^(٥)
كمصلصل يعدو على بيدانة	حقباء من حمر القنان مشرد ^(٦)
بفتية ، كسيوف الهند ، يبعثهم	همّ فكلهم ذو حاجة يقد ^(٧)
هل تبلغني الى الأخيار ناجية	تخدي كوخد ظليم خاضب زعر ^(٨)
كالهندواني لا يخزيك مشهده	وسط السيوف إذا ما تضرب البهم ^(٩)

وإضافة إلى أداتي التشبيه (الكاف و كأن) ، استخدم من أدوات التشبيه (الأفعال) ((حسب)) ، كما في قوله:

بلين وتحسب آياتها — من عن فرط حولين رقا محيلاً^(١٠)
 وكل التشبيهات السابقة هي من نوع (التشبيه المرسل) وهو ((ما ذكرت أداته))^(١١) أي أداة التشبيه ، أما (التشبيه المؤكد) فهو ((ما حذف أداته))^(١٢) ، كما جاء في قول زهير :
 يحيل في جدول تحبو ضفادعه حبو الجواري ترى في مائه نطقاً^(١٣)
 أي كحبو الجواري •
 فتعركم عرك الرّحا ، بثقالها وتلقح كشافاً ثم تنتج فنتنم^(١٤)
 أي كعرك الرّحا .
 أليس بفياض يداه غمامة شمال اليتامي في السنين محمد^(١٥)
 أي يداه كغمامة.

٢- المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين ، المجلد الثاني ، ص ٩٠ .
 ٣- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ١٦ •
 ٤- المصدر السابق : ٢١٧ • المعنى : كأنك بسؤالك إياه تعطيه مناه •
 ٥- المصدر السابق : ١٦٧ • المؤسد : المهيج المغربي ، الأظية : جمع طبابة وهي السير والطريقة •
 ٦- المصدر السابق : ٢٦٨ • القعاند : جمع قعود وهي التي يفتعدها الرجل ، لرهان : يسابق عليها لقمار ، حوله : حول الفحل •
 ٧- المصدر السابق : ١٩٥ • المصلصل : العير المصوّت ، بيدانة : أتاناً وحشية ، حقباء : في موضع الحقيبة منها بياض • القنان : جبل لبني أسد •
 ٨- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٢٠٢ • يقد : يمضي في حاجته متوقداً ملهوفاً •
 ٩- المصدر السابق : ٢٣٢ • الناجية : الناقة السريعة ، تخدي : تسرع ، الظليم : ذكر النعام ، الزعر : النشيط •
 ١٠- المصدر السابق : ١٢٦ • البهم : الجماعة ، الهندواني : السيف المنسوب إلى الهند •
 ١١- المصدر السابق : ١٤٦ • بلين : درس • آياتهن : علامتهن ، عن فرط حولين : عن مضي عامين •
 ١٢- البلاغة والتطبيق : ٢٨٦ •
 ١٣- المصدر السابق : ٢٨٦ •
 ١٤- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٤٣ • يحيل : يصب •
 ١٥- المصدر السابق : ٢٧ • أي : تطحنكم الحرب كطحن الرّحا . الثقال : جلدة تكون تحت الرّحا يقع الدقيق عليها .
 ١- المصدر السابق : ١٦٩ . غمامة : سحابة ، محمد : محمود ، فياض : يفيض عليهم .

ويمكن القول مما تقدم من تشبيهات ، أن تلك التشبيهات كانت من نوع (التشبيه التمثيلي) ، فقد عني زهير في شعره المدحي ((بتفصيل التشبيه إذ لا يزال يلح على الصورة التي يعرضها ، وكأنه يريد أن يستوفيها بجميع دقائقها^(١))) ، واهتم ((بكثرة الصور والتعمق فيها والإلحاح عليها عليها بالتفاصيل^(٢))) .

ب . الاستعارة :

وهي ((تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه^(٣))) ، و ((قد أتقن زهير لون الاستعارة اتقاناً لعل شاعراً جاهلياً لم يبلغ مبلغه فيه ، وارجع إلى معلقته وإلى صور الحرب التي أنشدتها فانك تجد الاستعارات فيها تتلاحق ، فالحرب أسد ضار ، بل هي نار مشتعلة ، بل هي رحى تطحن الناس ، بل هي ناقة تنتج غلمان شؤم ، بل هي أرض مغلّة غلة قبيحة ليس فيها منافع للناس إنما فيها الموت الزؤام^(٤))) وقد استخدم زهير الاستعارة بنوعيتها : (المكنية) وهي ((تشبيه حذف فيه المشبه به^(٥))) ، و (التصريحية) وهي ((ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه^(٦) المشبه^(٦))) . ومن استعارات زهير الشهيرة ، وهي (استعارة مكنية) ، قوله :
صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعري أفراس الصبا ورواحله^(٧)

فقد جعل زهير للصبا (أفراس) و (رواحل) ، وقد علق الدكتور طه حسين على هذا البيت بقوله : ((فأصحاب البيان مشغولون بهذا البيت ، وبالشرط الثاني منه خاصة لأنه جعل فيه للصبا أفراساً ورواحل كان يركبها حين كان الشباب يواتيه وحين كانت تتاح أقصر عن هذا كله ، وعري أفراس الصبا وعري رواحله وتركها مهملة ، لا تعينه على رواح ، ولا على غدو^(٨))) .
ومن استعارات زهير التصريحية ، قوله :

لدى أسد شاك السلاح مقتفٍ له لبد أظفاره لم تقلم^(٩)

وفي هذا البيت وصف زهير رجلاً شجاعاً ، ((وواضح أنه أسنتم في استعارته صورة ، الأسد بشعره المسترسل على منكبيه وأظفاره التي لم تقلم يوماً والتي إن نشبت في شيء أنت عليه^(١٠)))
ومن استعارات زهير ، قوله في مدح هرم بن سنان :

أغر أبيض فياض يفكك عن أيدي العناة وعن أعناقها الربقا^(١١)

وقوله :

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا^(١٢)

٢- تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي : ٣٣٠ .

٣- المصدر السابق : ٣٣٠ .

٤- البلاغة والتطبيق : ٣٤٣ .

٥- تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي : ٣٣٠ .

٦- البلاغة والتطبيق : ٣٤٥ .

٧- البلاغة والتطبيق : ٣٥١ .

٨- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ١٠١ .

٩- المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين ، المجلد الثاني ، ص ١١٠ .

١٠- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٣٠ ، شاك السلاح : سلاحه ذو شوكة .

١١- تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي : ٣٣١ .

١- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٤٩٠ . أغر : في وجه غرة ، أبيض : لا عيب فيه ، فياض : كثير العطاء ، العناة : الأسرى ، الربق :

حبل طويل فيه مواضع تجعل فيها رؤوس الحملان .

٢- المصدر السابق : ٥٠ . عثر : بلد في اليمن .

وقد كان لكل من (التشبيه) و(الاستعارة) فعلهما المؤثر في تشكيل الصورة الشعرية التي عرف بها زهير بن أبي سلمى ، ((فقد أستتم فن التصوير بفرعيه التشبيه والاستعارة))^(١) .
٣. التكرار الصوتي :

إذا كان التكرار الصوتي يتشكل طبيعياً بالتزام الشاعر بالبحر الواحد والقافية الواحدة ، فإن زهيراً خلق تكراراً صوتياً إضافياً باستخدام أساليب متعددة ، منها :
أ. تكرار الكلمات :

وقد استخدم زهير في شعره المدحي أسلوب (تكرار الكلمات) بكثرة ، ومن أمثلة ذلك :

عفا عام حلت صيفه وربيعه عام و عام يتبع عام قابل^(٢)
هيهات هيهات من نجد وساكنه من قد أتى دونه البغثاء والثمند^(٣)
وقال أميري : ما ترى رأي ما ترى أنختله عن نفسه أم نصاله^(٤)
ولا لكان ولا وادي الغمار ولا شرقي سلمى ، ولا فيد ولا رمم^(٥)
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو نال أسباب السماء بسلم^(٦)

وهذا التكرار الصوتي هو في حقيقة الأمر جناس تام .
ب. تكرار الحروف :

وقد كرر زهير في بعض أبيات شعره المدحي حروفاً بعينها مما أحدث تكراراً صوتياً وإيقاعاً موسيقياً محدداً ، ومن ذلك تكرار (الميم) في البيتين الآتيين

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمنتلم^(٧)
وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم^(٨)
أو تكرار (السين) في البيت الآتي ، وخاصة عجزه :
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو نال أسباب السماء بسلم^(٩)
أو تكرار (الضاد) في عجز البيت الآتي :
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا ضر يتموها فتضرم^(١٠)
أو تكرار (القاف) في البيت الآتي :
إن الخليط أجد البين فانفرقا وعلق القلب من أسماء ما علقا^(١١)

ج . توالي حركات متجانسة :

وعادة ، ما تكون تلك الحركات متجانسة مع حركة حرف الروي ، مثل حركة الكسرة في بيت زهير الآتي :

٣- تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي : ٣٣٢ .
٤- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : ٢١٣ . حلت : نزلت .
٥- المصدر السابق : ٢٠٢ . البغثاء والثمند : موضعان .
٦- المصدر السابق : ١٠٦ . نختله : نخادعه ، نصاله : نجاهزه .
٧- المصدر السابق : ١١٨ . الغمار : أرض ، سلمى : جبل ، رمم : أرض ، لكان : أرض .
٨- المصدر السابق : ٣٥ . أسباب السماء : نواحيها ووجوهها .
٩- المصدر السابق : ١٦ .
١٠- المصدر السابق : ٢٦ . المرجم : المظنون .
١١- المصدر السابق : ٣٥ .
١٢- المصدر السابق : ٢٧ . تضر : تعود .
١- المصدر السابق : ٣٨ . الخليط : المخالط لهم في الدار ، انفرق : انقطع .

ورد عراض الساعدين حدي ومثل حركة (الضمّة) في بيت زهير الآتي :
عليها أسود ضاريات لبوسهم

د الناب بين ضراغم غثر^(١)
سوايغ بيض لا يخرقها النبل^(٢)

ثبت المصادر والمراجع

١. الأغاني : أبو الفرج الأصبهاني علي بن الحسين، ج/ ١٠ ، مصور عن طبعة دار الكتب ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت (د ت) .
٢. بناء القصيدة في النقد القديم : د يوسف حسين بكار ، دار الأندلس ، بيروت ، ط/ ٢ ، ١٩٨٣ م .

٢- المصدر السابق : ٨٢ . الغثر : الغير ، ورد : تعلوه حمرة ، عراض : عريض ، ضراغم : أسود .
٣- المصدر السابق : ٨٨ . ضاريات : متعودات للحرب ، السوايغ : الدروع الواسعة .

٣. البلاغة والتطبيق : د. أحمد مطلوب ، د. كامل حسن البصير ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل، ط/٢ ، ١٩٩٩م .
٤. البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، ج/٢ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط/٤ ، مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٧٥م .
٥. تاج العروس : محمد مرتضى الزبيدي ، المطبعة الخيرية ، ط/١ ، مصر ١٣٠٦ هـ .
٦. تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط/١٠ ، ١٩٨٢م .
٧. تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام : د. نوري حمودي القيسي ، د. عادل جاسم البياتي ، د. مصطفى عبد اللطيف ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٩م .
٨. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع : للسيد أحمد الهاشمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ط/١٢ (د.ت) .
٩. دراسات في الأدب الجاهلي : د. عبد العزيز نبوي ، الصدر لخدمات الطباعة ، ط/٢ ، ١٩٨٨م .
١٠. دراسات في أدب ونصوص العصر الجاهلي : د. محمد عبد القادر أحمد ، مكتبة النهضة المصرية ، ط/١ ، ١٩٨٣م .
١١. شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : شرح وتحقيق الدكتور أحمد طلعت ، منشورات دار القاموس الحديث ودار الفكر للجميع ، بيروت ، ط/١ ، ١٩٦٨م .
١٢. شرح شعر زهير بن أبي سلمى : صنعة أبي العباس ثعلب ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة دار الأفاق الجديدة ، بيروت (د.ت) .
١٣. الشعر والشعراء : ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦م .
١٤. الصحاح : الجوهري إسماعيل بن حماد ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا ، دار الكتاب العربي بمصر ، ١٣٧٧هـ .
١٥. صناعة العرب الأعشى الكبير : د. مصطفى الجوزو ، دار الطليعة بيروت ، ١٩٧٧م .
١٦. طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، ط/٣ ، ١٩٨٣م .
١٧. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٥٥م .
١٨. فضاء البيت الشعري : عبد الجبار داود البصري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٦م .
١٩. فن التقطيع الشعري والقافية : د. صفاء خلوصي ، بيروت ، ط/٤ ، ١٩٧٤م .
٢٠. لسان العرب : ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم ، دار الفكر دار صادر ، بيروت ، ط/١ ، ١٩٥٥م .
٢١. المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين ، المجلد الثاني ، دار الكتاب اللبناني ، ط/٢ ، بيروت ، ١٩٨٠م .
٢٢. المديح : سامي الدهان ، دار المعارف بمصر ، ط/٢ ، ١٩٦٨م .

٢٣. المعلقات العشر : فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ، ١٩٦٩م .
٢٤. ميزان الذهب في صناعة شعر العرب : السيد أحمد الهاشمي ، مكتبة النقاء ، بغداد ، ١٩٧٩م .
٢٥. نقد الشعر : أبو فرج قدامة بن جعفر ، تحقيق د . محمد عبد المنعم الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د . ت) .